

معاني الكلمات :

معاني المفردات :

أمة واحدة : أهل دين واحد .

مكانتكم : حالتكم .

الر : حروف للتحدي والإعجاز .

نقص عليك : على الرسول ﷺ .

رأيت : في المنام .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعتقد تمام الاعتقاد أن الأمر كله لله عز وجل ، لذا فهو أحق بالعبادة والتوكل عليه .
- ٢ - أن نقف على الدروس والعبر من القصص القرآني ، فإنه نزل بحكمة .
- ٣ - أن نأخذ الحيلة والحذر في الأمور الهامة أخذاً بالأسباب .

المحتوى التربوي :

ويأتي التعقيب الأخير في سورة هود عن اختلاف البشر إلى الهدى والضلال ، وسنة الله المستقيمة في اتجاهات خلقه إلى هذا أو ذاك ، ولو شاء الله لخلق الناس كلهم على نسق واحد ، وباستعداد واحد ، ولكن شاء أن تتنوع استعدادات هذا المخلوق واتجاهات حياته ، وهكذا اقتضت سنة الله وجرت مشيئته في أن يكون لهذا المخلوق أن يختار ، وأن يلقي جزاء منهجه الذي اختار .

والخاتمة الأخيرة . خطاب للرسول ﷺ عن حكمة سوق القصص إليه في خاصة نفسه للمؤمنين ، فأما الذين لا يؤمنون فليلق إليهم كلمته الأخيرة ، وليفاصلهم مفاصلة حاسمة ،

وليخل بينهم وبين ما ينتظرهم في غيب الله ، ثم ليعبد الله ، وليتوكل عليه ، ويدع القوم لما يعملون .

ومن بعد ذلك كله الأمر لله . أمر الرسول والمؤمنين ، وأمر هذا الخلق كله ما كان في غيبه وما سيكون ﴿ فَأَعْبُدْهُ ﴾ فهو الجدير وحده بالعبادة والدينونة ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ فهو الولي وحده والنصير ، وهو العليم بما تعملون من خير وشر ، ولن يضيع جزاء أحد .

وهكذا تختم السورة التي بدئت بالتوحيد في العبادة ، والتوبة والإنابة والرجعة إلى الله في النهاية ، بمثل ما بدئت به من عبادة الله وحده والتوجه إليه وحده والرجعة إليه في نهاية المطاف ، وذلك بعد طول التطواف في آفاق الكون وأغوار النفس وأطواء القرون .

في قوله : ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

يقول صاحب الظلال : القرآن لا يفتح عن أسرارهِ إلا للعصبة المؤمنة التي تتحرك به ، لتحقيق مدلوله في عالم الواقع لا لمن يقرأونه لمجرد الدراسة الفنية أو العلمية ، ولا لمن يدرسونه لمجرد تتبع الأداء البياني .

(سورة يوسف ١-٤)

تبدأ السورة بهذه الأحرف وما من جنسها وهي قريبة للناس متداولة بينهم هي هي بعينها تلك الآيات البعيدة المتسامية على الطاقة البشرية . آيات الكتاب المبين . ولقد نزل الله كتاباً عربياً مؤلفاً من هذه الحرف العربية المعروفة ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وتدركون أن الذي يصنع الكلمات العادية هذا الكتاب المعجز لا يمكن أبداً أن يكون بشراً ، فلا بد عقلاً أن يكون القرآن وحياً ، والعقل هنا مدعو لتدبر هذه الظاهرة ودلالاتها القاهرة .

ويقول صاحب الظلال : ولما كان جِسم هذه الصورة قصة فقد أبرز ذكر القصص من مادة هذا الكتاب على وجه التخصيص ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ .

فبإيماننا هذا القرآن إليك قصصنا عليك هذا القصص - وهو أحسن القصص - وهو جزء من القرآن الموحى ﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ فقد كنت أحد الأميين في قومك ، الذين لا يتوجهون إلى هذا النحو من الموضوعات التي جاء بها القرآن ، ومنها هذا القصص الكامل الدقيق .

ويبدو هنا أن محور سورة يوسف هو قوله تعالى في سورة البقرة ، ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ ، ونلاحظ أن المقدمة ذكرت أن الله عز وجل يقص في هذا القرآن أحسن القصص ، وكيف أن عمداً ﷺ كان قبل الوحي غافلاً ، فلم يكن متعلماً ولا مقبلاً على التعلم ،

وقد وصف القرآن في هذه المقدمة بالبيان ، فأن يكون كتاب هذا شأنه في مثل هذا البيان ، وفي مثل هذا الحسن ، وفي اختيار القصة الهادفة ، وأن يكون منزلاً على مثل محمد ﷺ في أميته ، وعدم تعلمه ، إنَّ هذا كله لا يمكن أن يكون ، لولا أن هذا القرآن من عند الله ، فالسورة إذن تعالج موضوع الريب والشك بشكل مختلف عما عاجلته سور أخرى .

وتبدأ أحداث القصة ، لنرى يوسف الصبي يقص رؤياه على أبيه ؛ وهذه الرؤيا كما وصفها لأبيه ليست من روى الصبية ولا الغلمان ؛ وأقرب ما يراه غلام - حين تكون رؤياه صبيانية أو صدى لما يحلم به - أن يرى هذه الكواكب والشمس والقمر في حجره أن بين يديه يطوها ، ولكن يوسف رآها ساجدة له ، متمثلة في صورة العقلاء الذين يحنون رؤوسهم بالسجود تعظيماً ، والسباق يروى في صيغة الإيضاح المؤكدة عنه ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ .

ثم يعيد لفظ رأى ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ ﴾ . لهذا أدرك أبوه يعقوب بحسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤيا شأنًا عظيمًا لهذا الغلام ، لم يفصح هو عنه ، ولم يفصح عنه سياق القصة كذلك ، ولا تظهر بوادره إلا بعد حلقتين منها ، أما تمامه فلا يظهر إلا في نهاية القصة بعد انكشاف الغيب المحجوب ، ولهذا كما سيأتى نصحه ألا يقص رؤياه على أخوته ، خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير - غير الشقيق - فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم ، فتمتلئ نفوسهم بالحققد ، فيدبروا له أمراً يسوؤه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - ثبوت الرؤيا شرعاً ومشروعية تعبيرها .

٢ - مشروعية الحذر والأخذ بالحيلة في الأمور الهامة .

٣ - بيان فائدة القصص القرآني وهي أمور منها :

أ - تثبيت قلب النبي ﷺ .

ب - إيجاد مواضع وعبر المؤمنين .

ج - تقرير نبوة الرسول ﷺ .

د - التذكير الدائم المستمر لما نزل بالأقوم السابقة .

٤ - علم الغيب لله وحده لا يعلمه غيره .

٥ - وجوب عبادة الله تعالى والتوكل عليه .

٦ - رؤيا الأنبياء حق ، والرؤيا للمؤمن من المبشرات وهي نوع من الوحي .

معاني الكلمات :

فيكبدوا لك كيداً : فيحتالوا في هلاكك حسداً .

مبين : ظاهر العداوة .

يحبببك : يختارك .

غياة الحب : ما غاب وأظلم من قعر البئر

السيارة : المسافرين .

يرتع : يأكل ما لذ وطاب .

غافلون : مشغولون .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتجنب الحسد ؛ لأنه أصل الشرور والكوارث البشرية .

٢ - أن نقف على الدروس المستفادة من الآيات .

٣ - تقرير قاعدة : أخف الضررين أولى بالأخذ والاتباع .

المحتوى التربوي :

يتواصل السياق في عرض مشاهد القصص القرآني ، فبعد أن قص يوسف القصة على أبيه ، أحسن يعقوب أن ابنه سيكون له شأن عظيم ، ويتجه خاطره إلى أن هذا الشأن في وادي الدين والصلاح والمعرفة ؛ بحكم جو النبوة الذي يعيش فيه ، وما يعلمه من أن جده إبراهيم مبارك من الله هو وأهل بيته المؤمنون . فتوقع أن يكون يوسف هو الذي يختار من أبنائه من نسل إبراهيم لتحل عليه البركة وتمثل فيه السلسلة المباركة في بيت إبراهيم فقال له : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رُتُكَ وَنُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَنُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَفْتَمَهَا عَلَىٰ آبُوكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رُتُكَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ۝ ٢٣ ۝ ٢٣٦ ۝ ٢٣٧ ۝ ٢٣٨ ۝ ٢٣٩ ۝ ٢٤٠ ۝ ٢٤١ ۝ ٢٤٢ ۝ ٢٤٣ ۝ ٢٤٤ ۝ ٢٤٥ ۝ ٢٤٦ ۝ ٢٤٧ ۝ ٢٤٨ ۝ ٢٤٩ ۝ ٢٥٠ ۝ ٢٥١ ۝ ٢٥٢ ۝ ٢٥٣ ۝ ٢٥٤ ۝ ٢٥٥ ۝ ٢٥٦ ۝ ٢٥٧ ۝ ٢٥٨ ۝ ٢٥٩ ۝ ٢٦٠ ۝ ٢٦١ ۝ ٢٦٢ ۝ ٢٦٣ ۝ ٢٦٤ ۝ ٢٦٥ ۝ ٢٦٦ ۝ ٢٦٧ ۝ ٢٦٨ ۝ ٢٦٩ ۝ ٢٧٠ ۝ ٢٧١ ۝ ٢٧٢ ۝ ٢٧٣ ۝ ٢٧٤ ۝ ٢٧٥ ۝ ٢٧٦ ۝ ٢٧٧ ۝ ٢٧٨ ۝ ٢٧٩ ۝ ٢٨٠ ۝ ٢٨١ ۝ ٢٨٢ ۝ ٢٨٣ ۝ ٢٨٤ ۝ ٢٨٥ ۝ ٢٨٦ ۝ ٢٨٧ ۝ ٢٨٨ ۝ ٢٨٩ ۝ ٢٩٠ ۝ ٢٩١ ۝ ٢٩٢ ۝ ٢٩٣ ۝ ٢٩٤ ۝ ٢٩٥ ۝ ٢٩٦ ۝ ٢٩٧ ۝ ٢٩٨ ۝ ٢٩٩ ۝ ٣٠٠ ۝ ٣٠١ ۝ ٣٠٢ ۝ ٣٠٣ ۝ ٣٠٤ ۝ ٣٠٥ ۝ ٣٠٦ ۝ ٣٠٧ ۝ ٣٠٨ ۝ ٣٠٩ ۝ ٣١٠ ۝ ٣١١ ۝ ٣١٢ ۝ ٣١٣ ۝ ٣١٤ ۝ ٣١٥ ۝ ٣١٦ ۝ ٣١٧ ۝ ٣١٨ ۝ ٣١٩ ۝ ٣٢٠ ۝ ٣٢١ ۝ ٣٢٢ ۝ ٣٢٣ ۝ ٣٢٤ ۝ ٣٢٥ ۝ ٣٢٦ ۝ ٣٢٧ ۝ ٣٢٨ ۝ ٣٢٩ ۝ ٣٣٠ ۝ ٣٣١ ۝ ٣٣٢ ۝ ٣٣٣ ۝ ٣٣٤ ۝ ٣٣٥ ۝ ٣٣٦ ۝ ٣٣٧ ۝ ٣٣٨ ۝ ٣٣٩ ۝ ٣٤٠ ۝ ٣٤١ ۝ ٣٤٢ ۝ ٣٤٣ ۝ ٣٤٤ ۝ ٣٤٥ ۝ ٣٤٦ ۝ ٣٤٧ ۝ ٣٤٨ ۝ ٣٤٩ ۝ ٣٥٠ ۝ ٣٥١ ۝ ٣٥٢ ۝ ٣٥٣ ۝ ٣٥٤ ۝ ٣٥٥ ۝ ٣٥٦ ۝ ٣٥٧ ۝ ٣٥٨ ۝ ٣٥٩ ۝ ٣٦٠ ۝ ٣٦١ ۝ ٣٦٢ ۝ ٣٦٣ ۝ ٣٦٤ ۝ ٣٦٥ ۝ ٣٦٦ ۝ ٣٦٧ ۝ ٣٦٨ ۝ ٣٦٩ ۝ ٣٧٠ ۝ ٣٧١ ۝ ٣٧٢ ۝ ٣٧٣ ۝ ٣٧٤ ۝ ٣٧٥ ۝ ٣٧٦ ۝ ٣٧٧ ۝ ٣٧٨ ۝ ٣٧٩ ۝ ٣٨٠ ۝ ٣٨١ ۝ ٣٨٢ ۝ ٣٨٣ ۝ ٣٨٤ ۝ ٣٨٥ ۝ ٣٨٦ ۝ ٣٨٧ ۝ ٣٨٨ ۝ ٣٨٩ ۝ ٣٩٠ ۝ ٣٩١ ۝ ٣٩٢ ۝ ٣٩٣ ۝ ٣٩٤ ۝ ٣٩٥ ۝ ٣٩٦ ۝ ٣٩٧ ۝ ٣٩٨ ۝ ٣٩٩ ۝ ٤٠٠ ۝ ٤٠١ ۝ ٤٠٢ ۝ ٤٠٣ ۝ ٤٠٤ ۝ ٤٠٥ ۝ ٤٠٦ ۝ ٤٠٧ ۝ ٤٠٨ ۝ ٤٠٩ ۝ ٤١٠ ۝ ٤١١ ۝ ٤١٢ ۝ ٤١٣ ۝ ٤١٤ ۝ ٤١٥ ۝ ٤١٦ ۝ ٤١٧ ۝ ٤١٨ ۝ ٤١٩ ۝ ٤٢٠ ۝ ٤٢١ ۝ ٤٢٢ ۝ ٤٢٣ ۝ ٤٢٤ ۝ ٤٢٥ ۝ ٤٢٦ ۝ ٤٢٧ ۝ ٤٢٨ ۝ ٤٢٩ ۝ ٤٣٠ ۝ ٤٣١ ۝ ٤٣٢ ۝ ٤٣٣ ۝ ٤٣٤ ۝ ٤٣٥ ۝ ٤٣٦ ۝ ٤٣٧ ۝ ٤٣٨ ۝ ٤٣٩ ۝ ٤٤٠ ۝ ٤٤١ ۝ ٤٤٢ ۝ ٤٤٣ ۝ ٤٤٤ ۝ ٤٤٥ ۝ ٤٤٦ ۝ ٤٤٧ ۝ ٤٤٨ ۝ ٤٤٩ ۝ ٤٥٠ ۝ ٤٥١ ۝ ٤٥٢ ۝ ٤٥٣ ۝ ٤٥٤ ۝ ٤٥٥ ۝ ٤٥٦ ۝ ٤٥٧ ۝ ٤٥٨ ۝ ٤٥٩ ۝ ٤٦٠ ۝ ٤٦١ ۝ ٤٦٢ ۝ ٤٦٣ ۝ ٤٦٤ ۝ ٤٦٥ ۝ ٤٦٦ ۝ ٤٦٧ ۝ ٤٦٨ ۝ ٤٦٩ ۝ ٤٧٠ ۝ ٤٧١ ۝ ٤٧٢ ۝ ٤٧٣ ۝ ٤٧٤ ۝ ٤٧٥ ۝ ٤٧٦ ۝ ٤٧٧ ۝ ٤٧٨ ۝ ٤٧٩ ۝ ٤٨٠ ۝ ٤٨١ ۝ ٤٨٢ ۝ ٤٨٣ ۝ ٤٨٤ ۝ ٤٨٥ ۝ ٤٨٦ ۝ ٤٨٧ ۝ ٤٨٨ ۝ ٤٨٩ ۝ ٤٩٠ ۝ ٤٩١ ۝ ٤٩٢ ۝ ٤٩٣ ۝ ٤٩٤ ۝ ٤٩٥ ۝ ٤٩٦ ۝ ٤٩٧ ۝ ٤٩٨ ۝ ٤٩٩ ۝ ٥٠٠ ۝ ٥٠١ ۝ ٥٠٢ ۝ ٥٠٣ ۝ ٥٠٤ ۝ ٥٠٥ ۝ ٥٠٦ ۝ ٥٠٧ ۝ ٥٠٨ ۝ ٥٠٩ ۝ ٥١٠ ۝ ٥١١ ۝ ٥١٢ ۝ ٥١٣ ۝ ٥١٤ ۝ ٥١٥ ۝ ٥١٦ ۝ ٥١٧ ۝ ٥١٨ ۝ ٥١٩ ۝ ٥٢٠ ۝ ٥٢١ ۝ ٥٢٢ ۝ ٥٢٣ ۝ ٥٢٤ ۝ ٥٢٥ ۝ ٥٢٦ ۝ ٥٢٧ ۝ ٥٢٨ ۝ ٥٢٩ ۝ ٥٣٠ ۝ ٥٣١ ۝ ٥٣٢ ۝ ٥٣٣ ۝ ٥٣٤ ۝ ٥٣٥ ۝ ٥٣٦ ۝ ٥٣٧ ۝ ٥٣٨ ۝ ٥٣٩ ۝ ٥٤٠ ۝ ٥٤١ ۝ ٥٤٢ ۝ ٥٤٣ ۝ ٥٤٤ ۝ ٥٤٥ ۝ ٥٤٦ ۝ ٥٤٧ ۝ ٥٤٨ ۝ ٥٤٩ ۝ ٥٥٠ ۝ ٥٥١ ۝ ٥٥٢ ۝ ٥٥٣ ۝ ٥٥٤ ۝ ٥٥٥ ۝ ٥٥٦ ۝ ٥٥٧ ۝ ٥٥٨ ۝ ٥٥٩ ۝ ٥٦٠ ۝ ٥٦١ ۝ ٥٦٢ ۝ ٥٦٣ ۝ ٥٦٤ ۝ ٥٦٥ ۝ ٥٦٦ ۝ ٥٦٧ ۝ ٥٦٨ ۝ ٥٦٩ ۝ ٥٧٠ ۝ ٥٧١ ۝ ٥٧٢ ۝ ٥٧٣ ۝ ٥٧٤ ۝ ٥٧٥ ۝ ٥٧٦ ۝ ٥٧٧ ۝ ٥٧٨ ۝ ٥٧٩ ۝ ٥٨٠ ۝ ٥٨١ ۝ ٥٨٢ ۝ ٥٨٣ ۝ ٥٨٤ ۝ ٥٨٥ ۝ ٥٨٦ ۝ ٥٨٧ ۝ ٥٨٨ ۝ ٥٨٩ ۝ ٥٩٠ ۝ ٥٩١ ۝ ٥٩٢ ۝ ٥٩٣ ۝ ٥٩٤ ۝ ٥٩٥ ۝ ٥٩٦ ۝ ٥٩٧ ۝ ٥٩٨ ۝ ٥٩٩ ۝ ٦٠٠ ۝ ٦٠١ ۝ ٦٠٢ ۝ ٦٠٣ ۝ ٦٠٤ ۝ ٦٠٥ ۝ ٦٠٦ ۝ ٦٠٧ ۝ ٦٠٨ ۝ ٦٠٩ ۝ ٦١٠ ۝ ٦١١ ۝ ٦١٢ ۝ ٦١٣ ۝ ٦١٤ ۝ ٦١٥ ۝ ٦١٦ ۝ ٦١٧ ۝ ٦١٨ ۝ ٦١٩ ۝ ٦٢٠ ۝ ٦٢١ ۝ ٦٢٢ ۝ ٦٢٣ ۝ ٦٢٤ ۝ ٦٢٥ ۝ ٦٢٦ ۝ ٦٢٧ ۝ ٦٢٨ ۝ ٦٢٩ ۝ ٦٣٠ ۝ ٦٣١ ۝ ٦٣٢ ۝ ٦٣٣ ۝ ٦٣٤ ۝ ٦٣٥ ۝ ٦٣٦ ۝ ٦٣٧ ۝ ٦٣٨ ۝ ٦٣٩ ۝ ٦٤٠ ۝ ٦٤١ ۝ ٦٤٢ ۝ ٦٤٣ ۝ ٦٤٤ ۝ ٦٤٥ ۝ ٦٤٦ ۝ ٦٤٧ ۝ ٦٤٨ ۝ ٦٤٩ ۝ ٦٥٠ ۝ ٦٥١ ۝ ٦٥٢ ۝ ٦٥٣ ۝ ٦٥٤ ۝ ٦٥٥ ۝ ٦٥٦ ۝ ٦٥٧ ۝ ٦٥٨ ۝ ٦٥٩ ۝ ٦٦٠ ۝ ٦٦١ ۝ ٦٦٢ ۝ ٦٦٣ ۝ ٦٦٤ ۝ ٦٦٥ ۝ ٦٦٦ ۝ ٦٦٧ ۝ ٦٦٨ ۝ ٦٦٩ ۝ ٦٧٠ ۝ ٦٧١ ۝ ٦٧٢ ۝ ٦٧٣ ۝ ٦٧٤ ۝ ٦٧٥ ۝ ٦٧٦ ۝ ٦٧٧ ۝ ٦٧٨ ۝ ٦٧٩ ۝ ٦٨٠ ۝ ٦٨١ ۝ ٦٨٢ ۝ ٦٨٣ ۝ ٦٨٤ ۝ ٦٨٥ ۝ ٦٨٦ ۝ ٦٨٧ ۝ ٦٨٨ ۝ ٦٨٩ ۝ ٦٩٠ ۝ ٦٩١ ۝ ٦٩٢ ۝ ٦٩٣ ۝ ٦٩٤ ۝ ٦٩٥ ۝ ٦٩٦ ۝ ٦٩٧ ۝ ٦٩٨ ۝ ٦٩٩ ۝ ٧٠٠ ۝ ٧٠١ ۝ ٧٠٢ ۝ ٧٠٣ ۝ ٧٠٤ ۝ ٧٠٥ ۝ ٧٠٦ ۝ ٧٠٧ ۝ ٧٠٨ ۝ ٧٠٩ ۝ ٧١٠ ۝ ٧١١ ۝ ٧١٢ ۝ ٧١٣ ۝ ٧١٤ ۝ ٧١٥ ۝ ٧١٦ ۝ ٧١٧ ۝ ٧١٨ ۝ ٧١٩ ۝ ٧٢٠ ۝ ٧٢١ ۝ ٧٢٢ ۝ ٧٢٣ ۝ ٧٢٤ ۝ ٧٢٥ ۝ ٧٢٦ ۝ ٧٢٧ ۝ ٧٢٨ ۝ ٧٢٩ ۝ ٧٣٠ ۝ ٧٣١ ۝ ٧٣٢ ۝ ٧٣٣ ۝ ٧٣٤ ۝ ٧٣٥ ۝ ٧٣٦ ۝ ٧٣٧ ۝ ٧٣٨ ۝ ٧٣٩ ۝ ٧٤٠ ۝ ٧٤١ ۝ ٧٤٢ ۝ ٧٤٣ ۝ ٧٤٤ ۝ ٧٤٥ ۝ ٧٤٦ ۝ ٧٤٧ ۝ ٧٤٨ ۝ ٧٤٩ ۝ ٧٥٠ ۝ ٧٥١ ۝ ٧٥٢ ۝ ٧٥٣ ۝ ٧٥٤ ۝ ٧٥٥ ۝ ٧٥٦ ۝ ٧٥٧ ۝ ٧٥٨ ۝ ٧٥٩ ۝ ٧٦٠ ۝ ٧٦١ ۝ ٧٦٢ ۝ ٧٦٣ ۝ ٧٦٤ ۝ ٧٦٥ ۝ ٧٦٦ ۝ ٧٦٧ ۝ ٧٦٨ ۝ ٧٦٩ ۝ ٧٧٠ ۝ ٧٧١ ۝ ٧٧٢ ۝ ٧٧٣ ۝ ٧٧٤ ۝ ٧٧٥ ۝ ٧٧٦ ۝ ٧٧٧ ۝ ٧٧٨ ۝ ٧٧٩ ۝ ٧٨٠ ۝ ٧٨١ ۝ ٧٨٢ ۝ ٧٨٣ ۝ ٧٨٤ ۝ ٧٨٥ ۝ ٧٨٦ ۝ ٧٨٧ ۝ ٧٨٨ ۝ ٧٨٩ ۝ ٧٩٠ ۝ ٧٩١ ۝ ٧٩٢ ۝ ٧٩٣ ۝ ٧٩٤ ۝ ٧٩٥ ۝ ٧٩٦ ۝ ٧٩٧ ۝ ٧٩٨ ۝ ٧٩٩ ۝ ٨٠٠ ۝ ٨٠١ ۝ ٨٠٢ ۝ ٨٠٣ ۝ ٨٠٤ ۝ ٨٠٥ ۝ ٨٠٦ ۝ ٨٠٧ ۝ ٨٠٨ ۝ ٨٠٩ ۝ ٨١٠ ۝ ٨١١ ۝ ٨١٢ ۝ ٨١٣ ۝ ٨١٤ ۝ ٨١٥ ۝ ٨١٦ ۝ ٨١٧ ۝ ٨١٨ ۝ ٨١٩ ۝ ٨٢٠ ۝ ٨٢١ ۝ ٨٢٢ ۝ ٨٢٣ ۝ ٨٢٤ ۝ ٨٢٥ ۝ ٨٢٦ ۝ ٨٢٧ ۝ ٨٢٨ ۝ ٨٢٩ ۝ ٨٣٠ ۝ ٨٣١ ۝ ٨٣٢ ۝ ٨٣٣ ۝ ٨٣٤ ۝ ٨٣٥ ۝ ٨٣٦ ۝ ٨٣٧ ۝ ٨٣٨ ۝ ٨٣٩ ۝ ٨٤٠ ۝ ٨٤١ ۝ ٨٤٢ ۝ ٨٤٣ ۝ ٨٤٤ ۝ ٨٤٥ ۝ ٨٤٦ ۝ ٨٤٧ ۝ ٨٤٨ ۝ ٨٤٩ ۝ ٨٥٠ ۝ ٨٥١ ۝ ٨٥٢ ۝ ٨٥٣ ۝ ٨٥٤ ۝ ٨٥٥ ۝ ٨٥٦ ۝ ٨٥٧ ۝ ٨٥٨ ۝ ٨٥٩ ۝ ٨٦٠ ۝ ٨٦١ ۝ ٨٦٢ ۝ ٨٦٣ ۝ ٨٦٤ ۝ ٨٦٥ ۝ ٨٦٦ ۝ ٨٦٧ ۝ ٨٦٨ ۝ ٨٦٩ ۝ ٨٧٠ ۝ ٨٧١ ۝ ٨٧٢ ۝ ٨٧٣ ۝ ٨٧٤ ۝ ٨٧٥ ۝ ٨٧٦ ۝ ٨٧٧ ۝ ٨٧٨ ۝ ٨٧٩ ۝ ٨٨٠ ۝ ٨٨١ ۝ ٨٨٢ ۝ ٨٨٣ ۝ ٨٨٤ ۝ ٨٨٥ ۝ ٨٨٦ ۝ ٨٨٧ ۝ ٨٨٨ ۝ ٨٨٩ ۝ ٨٩٠ ۝ ٨٩١ ۝ ٨٩٢ ۝ ٨٩٣ ۝ ٨٩٤ ۝ ٨٩٥ ۝ ٨٩٦ ۝ ٨٩٧ ۝ ٨٩٨ ۝ ٨٩٩ ۝ ٩٠٠ ۝ ٩٠١ ۝ ٩٠٢ ۝ ٩٠٣ ۝ ٩٠٤ ۝ ٩٠٥ ۝ ٩٠٦ ۝ ٩٠٧ ۝ ٩٠٨ ۝ ٩٠٩ ۝ ٩١٠ ۝ ٩١١ ۝ ٩١٢ ۝ ٩١٣ ۝ ٩١٤ ۝ ٩١٥ ۝ ٩١٦ ۝ ٩١٧ ۝ ٩١٨ ۝ ٩١٩ ۝ ٩٢٠ ۝ ٩٢١ ۝ ٩٢٢ ۝ ٩٢٣ ۝ ٩٢٤ ۝ ٩٢٥ ۝ ٩٢٦ ۝ ٩٢٧ ۝ ٩٢٨ ۝ ٩٢٩ ۝ ٩٣٠ ۝ ٩٣١ ۝ ٩٣٢ ۝ ٩٣٣ ۝ ٩٣٤ ۝ ٩٣٥ ۝ ٩٣٦ ۝ ٩٣٧ ۝ ٩٣٨ ۝ ٩٣٩ ۝ ٩٤٠ ۝ ٩٤١ ۝ ٩٤٢ ۝ ٩٤٣ ۝ ٩٤٤ ۝ ٩٤٥ ۝ ٩٤٦ ۝ ٩٤٧ ۝ ٩٤٨ ۝ ٩٤٩ ۝ ٩٥٠ ۝ ٩٥١ ۝ ٩٥٢ ۝ ٩٥٣ ۝ ٩٥٤ ۝ ٩٥٥ ۝ ٩٥٦ ۝ ٩٥٧ ۝ ٩٥٨ ۝ ٩٥٩ ۝ ٩٦٠ ۝ ٩٦١ ۝ ٩٦٢ ۝ ٩٦٣ ۝ ٩٦٤ ۝ ٩٦٥ ۝ ٩٦٦ ۝ ٩٦٧ ۝ ٩٦٨ ۝ ٩٦٩ ۝ ٩٧٠ ۝ ٩٧١ ۝ ٩٧٢ ۝ ٩٧٣ ۝ ٩٧٤ ۝ ٩٧٥ ۝ ٩٧٦ ۝ ٩٧٧ ۝ ٩٧٨ ۝ ٩٧٩ ۝ ٩٨٠ ۝ ٩٨١ ۝ ٩٨٢ ۝ ٩٨٣ ۝ ٩٨٤ ۝ ٩٨٥ ۝ ٩٨٦ ۝ ٩٨٧ ۝ ٩٨٨ ۝ ٩٨٩ ۝ ٩٩٠ ۝ ٩٩١ ۝ ٩٩٢ ۝ ٩٩٣ ۝ ٩٩٤ ۝ ٩٩٥ ۝ ٩٩٦ ۝ ٩٩٧ ۝ ٩٩٨ ۝ ٩٩٩ ۝ ١٠٠٠ ۝ ١٠٠١ ۝ ١٠٠٢ ۝ ١٠٠٣ ۝ ١٠٠٤ ۝ ١٠٠٥ ۝ ١٠٠٦ ۝ ١٠٠٧ ۝ ١٠٠٨ ۝ ١٠٠٩ ۝ ١٠١٠ ۝ ١٠١١ ۝ ١٠١٢ ۝ ١٠١٣ ۝ ١٠١٤ ۝ ١٠١٥ ۝ ١٠١٦ ۝ ١٠١٧ ۝ ١٠١٨ ۝ ١٠١٩ ۝ ١٠٢٠ ۝ ١٠٢١ ۝ ١٠٢٢ ۝ ١٠٢٣ ۝ ١٠٢٤ ۝ ١٠٢٥ ۝ ١٠٢٦ ۝ ١٠٢٧ ۝ ١٠٢٨ ۝ ١٠٢٩ ۝ ١٠٣٠ ۝ ١٠٣١ ۝ ١٠٣٢ ۝ ١٠٣٣ ۝ ١٠٣٤ ۝ ١٠٣٥ ۝ ١٠٣٦ ۝ ١٠٣٧ ۝ ١٠٣٨ ۝ ١٠٣٩ ۝ ١٠٤٠ ۝ ١٠٤١ ۝ ١٠٤٢ ۝ ١٠٤٣ ۝ ١٠٤٤ ۝ ١٠٤٥ ۝ ١٠٤٦ ۝ ١٠٤٧ ۝ ١٠٤٨ ۝ ١٠٤٩ ۝ ١٠٥٠ ۝ ١٠٥١ ۝ ١٠٥٢ ۝ ١٠٥٣ ۝ ١٠٥٤ ۝ ١٠٥٥ ۝ ١٠٥٦ ۝ ١٠٥٧ ۝ ١٠٥٨ ۝ ١٠٥٩ ۝ ١٠٦٠ ۝ ١٠٦١ ۝ ١٠٦٢ ۝ ١٠٦٣ ۝ ١٠٦٤ ۝ ١٠٦٥ ۝ ١٠٦٦ ۝ ١٠٦٧ ۝ ١٠٦٨ ۝ ١٠٦٩ ۝ ١٠٧٠ ۝ ١٠٧١ ۝ ١٠٧٢ ۝ ١٠٧٣ ۝ ١٠٧٤ ۝ ١٠٧٥ ۝ ١٠٧٦ ۝ ١٠٧٧ ۝ ١٠٧٨ ۝ ١٠٧٩ ۝ ١٠٨٠ ۝ ١٠٨١ ۝ ١٠٨٢ ۝ ١٠٨٣ ۝ ١٠٨٤ ۝ ١٠٨٥ ۝ ١٠٨٦ ۝ ١٠٨٧ ۝ ١٠٨٨ ۝ ١٠٨٩ ۝ ١٠٩٠ ۝ ١٠٩١ ۝ ١٠٩٢ ۝ ١٠٩٣ ۝ ١٠٩٤ ۝ ١٠٩٥ ۝ ١٠٩٦ ۝ ١٠٩٧ ۝ ١٠٩٨ ۝ ١٠٩٩ ۝ ١١٠٠ ۝ ١١٠١ ۝ ١١٠٢ ۝ ١١٠٣ ۝ ١١٠٤ ۝ ١١٠٥ ۝ ١١٠٦ ۝ ١١٠٧ ۝ ١١٠٨ ۝ ١١٠٩ ۝ ١١١٠ ۝ ١١١١ ۝ ١١١٢ ۝ ١١١٣ ۝ ١١١٤ ۝ ١١١٥ ۝ ١١١٦ ۝ ١١١٧ ۝ ١١١٨ ۝ ١١١٩ ۝ ١١٢٠ ۝ ١١٢١ ۝ ١١٢٢ ۝ ١١٢٣ ۝ ١١٢٤ ۝ ١١٢٥ ۝ ١١٢٦ ۝ ١١٢٧ ۝ ١١٢٨ ۝ ١١٢٩ ۝ ١١٣٠ ۝ ١١٣١ ۝ ١١٣٢ ۝ ١١٣٣ ۝ ١١٣٤ ۝ ١١٣٥ ۝ ١١٣٦ ۝ ١١٣٧ ۝ ١١٣٨ ۝ ١١٣٩ ۝ ١١٤٠ ۝ ١١٤١ ۝ ١١٤٢ ۝ ١١٤٣ ۝ ١١٤٤ ۝ ١١٤٥ ۝ ١١٤٦ ۝ ١١٤٧ ۝ ١١٤٨ ۝ ١١٤٩ ۝ ١١٥٠ ۝ ١١٥١ ۝ ١١٥٢ ۝ ١١٥٣ ۝ ١١٥٤ ۝ ١١٥٥ ۝ ١١٥٦ ۝ ١١٥٧ ۝ ١١٥٨ ۝ ١١٥٩ ۝ ١١٦٠ ۝ ١١٦١ ۝ ١١٦٢ ۝ ١١٦٣ ۝ ١١٦٤ ۝ ١١٦٥ ۝ ١١٦٦ ۝ ١١٦٧ ۝ ١١٦٨ ۝ ١١٦٩ ۝ ١١٧٠ ۝ ١١٧١ ۝ ١١٧٢ ۝ ١١٧٣ ۝ ١١٧٤ ۝ ١١٧٥ ۝ ١١٧٦ ۝ ١١٧٧ ۝ ١١٧٨ ۝ ١١٧٩ ۝ ١١٨٠ ۝ ١١٨١ ۝ ١١٨٢ ۝ ١١٨٣ ۝ ١١٨٤ ۝ ١١٨٥ ۝ ١١٨٦ ۝ ١١٨٧ ۝ ١١٨٨ ۝ ١١٨٩ ۝ ١١٩٠ ۝ ١١٩١ ۝ ١١٩٢ ۝ ١١٩٣ ۝ ١١٩٤ ۝ ١١٩٥ ۝ ١١٩٦ ۝ ١١٩٧ ۝ ١١٩٨ ۝ ١١٩٩ ۝ ١٢٠٠ ۝ ١٢٠١ ۝ ١٢٠٢ ۝ ١٢٠٣ ۝ ١٢٠٤ ۝ ١٢٠٥ ۝ ١٢٠٦ ۝ ١٢٠٧ ۝ ١٢٠٨ ۝ ١٢٠٩ ۝ ١٢١٠ ۝ ١٢١١ ۝ ١٢١٢ ۝ ١٢١٣ ۝ ١٢١٤ ۝ ١٢١٥ ۝ ١٢١٦ ۝ ١٢١٧ ۝ ١٢١٨ ۝ ١٢١٩ ۝ ١٢٢٠ ۝ ١٢٢١ ۝ ١٢٢٢ ۝ ١٢٢٣ ۝ ١٢٢٤ ۝ ١٢٢٥ ۝ ١٢٢٦ ۝ ١٢٢٧ ۝ ١٢٢٨ ۝ ١٢٢٩ ۝ ١٢٣٠ ۝ ١٢٣١ ۝ ١٢٣٢ ۝ ١٢٣٣ ۝ ١٢٣٤ ۝ ١٢٣٥ ۝ ١٢٣٦ ۝ ١٢٣٧ ۝ ١٢٣٨ ۝ ١٢٣٩ ۝ ١٢٤٠ ۝ ١٢٤١ ۝ ١٢٤٢ ۝ ١٢٤٣ ۝ ١٢٤٤ ۝ ١٢٤٥ ۝ ١٢٤٦ ۝ ١٢٤٧ ۝ ١٢٤٨ ۝ ١٢٤٩ ۝ ١٢٥٠ ۝ ١٢٥١ ۝ ١٢٥٢ ۝ ١٢٥٣ ۝ ١٢٥٤ ۝ ١٢٥٥ ۝ ١٢٥٦ ۝ ١٢٥٧ ۝ ١٢٥٨ ۝ ١٢٥٩ ۝ ١٢٦٠ ۝ ١٢٦١ ۝ ١٢٦٢ ۝ ١٢٦٣ ۝ ١٢٦٤ ۝ ١٢٦٥ ۝ ١٢٦٦ ۝ ١٢٦٧ ۝ ١٢٦٨ ۝ ١٢٦٩ ۝ ١٢٧٠ ۝ ١٢٧١ ۝ ١٢٧٢ ۝ ١٢٧٣ ۝ ١٢٧٤ ۝ ١٢٧٥ ۝ ١٢٧٦ ۝ ١٢٧٧ ۝ ١٢٧٨ ۝ ١٢٧٩ ۝ ١٢٨٠ ۝ ١٢٨١ ۝ ١٢٨٢ ۝ ١٢٨٣ ۝ ١٢٨٤ ۝ ١٢٨٥ ۝ ١٢٨٦ ۝ ١٢٨٧ ۝ ١٢٨٨ ۝ ١٢٨٩ ۝ ١٢٩٠ ۝ ١٢٩١ ۝ ١٢٩٢ ۝ ١٢٩٣ ۝ ١٢٩٤ ۝ ١٢٩٥ ۝ ١٢٩٦ ۝ ١٢٩٧ ۝ ١٢٩٨ ۝ ١٢٩٩ ۝ ١٣٠٠ ۝ ١٣٠١ ۝ ١٣٠٢ ۝ ١٣٠٣ ۝ ١٣٠٤ ۝ ١٣٠٥ ۝ ١٣٠٦ ۝ ١٣٠٧ ۝ ١٣٠٨ ۝ ١٣٠٩

واتجاه فكر يعقوب إلى أن رؤيا يوسف تشير إلى اختيار الله له ، وإتمام نعمته عليه وعلى آل يعقوب ، كما أتمها على أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق هذا طبعى ، ولكن الذى يستوقف النظر قوله : ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ .. يقول صاحب الظلال - رحمه الله : « والتأويل هو معرفة المآل ، فما الأحاديث ؟ أقصد يعقوب أن الله سيختار يوسف ويعلمه ويهبه من صدق الحس ونفاذ البصيرة ما يدرك به من الأحاديث مآلها الذى تنتهى إليه ، منذ أوائلها . وهو إلهام من الله لذوى البصائر المدركة النافذة ، وجاء التعقيب : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ . مناسباً لهذا فى جو الحكمة والتعليم ؟ أم قصد بالأحاديث الرؤى والأحلام كما وقع بالفعل فى حياة يوسف فيما بعد ؟

كلاهما جائز ، وكلاهما يتمشى مع الجو المحيط بيوسف ويعقوب ، على أية حال لقد رأى يوسف رؤياه هذه ، وسرى فيها بعد ما يكون تأويل الرؤيا .

فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ يقول صاحب المنار بتصرف : فى قصة يوسف أنواع من الدلائل على قدرة الله وحكمته فإن للظواهر غايات لا تعلم حقائقها إلا منها فإخوة يوسف لو لم يحسدوه لما ألقوه فى غيابة الجب ولو لم يلقوه لما وصل إلى عزيز مصر ، ولو لم يعتقد العزيز أمانته لما آمنه على بيته ، ولو لم تراوده امرأة العزيز لما ظهرت أمانته ولو لم يتحب فى سعيها لما وضع فى السجن ، ولو لم يوضع فى السجن لما عرف الملك صدقه فى رؤياه وعفته ، ولو لم يعلم الساقى تعبيرة للرؤيا ما أنقذ مصر وأبويه وإخوته من الجوع .

ويعقب هذا المشهد السابق مشهد آخر : مشهد إخوة يوسف يتآمرون ولقد كان قصة يوسف وإخوته آيات وأمارات على حقائق كثيرة لمن ينقلب عن الآيات ويسأل ويهتم ، وتحكى الآيات عن إخوة يوسف يتحدثون عن إثارة يعقوب ليوسف وأخيه عليهم - أخيه الشقيق . ولو كانوا قد علموا برؤياه لجاء ذكرها على ألسنتهم ، ولكانت أدعى إلى أن تلهج ألسنتهم بالحقد عليه . فما خافه يعقوب على يوسف لو قص رؤياه على إخوته قد تم عن طريق آخر ، وهو حقدهم عليه لإثارة أبيهم له .

ويغلى الحقد ويدخل الشيطان ، فيختل تقديرهم للوقائع ، وتتضخم فى حسهم أشياء صغيرة ، وتهون أحداث ضخام . تهون الفعلة الشنعاء المتمثلة فى إزهاق روح غلام برى لا يملك دفعاً عن نفسه ، وهو لهم أخ ، وهم أبناء نبي - وإن لم يكونوا هم أنبياء - يهون هذا ، وتتضخم فى أعينهم حكاية إثارة أبيهم له بالحب . حتى توازى القتل . أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله .

ويتدبرون الأمر ويقررون إلقاء يوسف فى غياهب الجب بعد التداول وينشدون التوبة بعد ذلك ، ويعلق صاحب الظلال - قائلاً على قصدهم هذا : « والتوبة بعد ذلك تُصلح ما فات ! وليست التوبة هكذا ، إنما تكون التوبة من الخطيئة التى يندفع إليها المرء غافلاً جاهلاً غير ذاك ؛ حتى إذا تذكر ندم ، وجاشت نفسه بالتوبة . أما التوبة الجاهزة ! التوبة التى تعد سلفاً قبل ارتكاب الجريمة لإزالة معالم الجريمة ؛ فليست بالتوبة ، إنما هى تبرير لارتكاب الجريمة ، بزيئة الشيطان !

وها هم أولاً عند أبيهم ، يراودونه فى اصطحاب يوسف معهم منذ الغداة . وهاهم أولاً يخادعون أباهم ، ويمكرون به ويوسف فقالوا له ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونُ ﴾ أى عبون له كل خير مشفقون عليه أن يمسه أدنى سوء .

﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعْ وَلْيَعْبَ ﴾ أى يرتع فى البادية يأكل الفواكه ويشرب الألبان ويأكل اللحوم ، ويلعب بها نعلب به من السباق والمناضلة ، ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ من كل ما قد يضره أو يسوء إليه . فأجابهم ~~الظلال~~ قائلاً : ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ﴾ أى إنه ليقوعنى فى الحزن وآلامه ذهابكم به ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ فى رعتكم ولعبكم فأجابوه قائلين : ﴿ قَالُوا لَيْنَ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴾ لئن غلبنا الذئب ونحن جماعة قوية هكذا فلا خير فينا لأنفسنا وإننا لخاسرون كل شيء ، فلا نصلح لشيء أبداً !

وهكذا استسلم الوالد الحريص لهذا التوكيد ولذلك الإحراج ، ليتحقق قدر الله وتمم القصة كما تقتضى مشيئته !

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - الحسد سبب لكثير من الكوارث البشرية .

٢ - ارتكاب أخف الضررين قاعدة شرعية عمل بها الأولون .

٣ - يجب على الوالدين أن يسويا بين أبنائهم جميعاً فى المعاملة قدر الاستطاعة ، وألا يفضلوا أحداً عن الآخر ، حتى لا تتولد فى نفوس الباقين الغيرة البغضية ، وتحل الكراهية بينهم محل الحب والمودة .

معانى الكلمات :

أجمعوا : عزموا .

متاعنا : ثيابنا .

سولت : زينت .

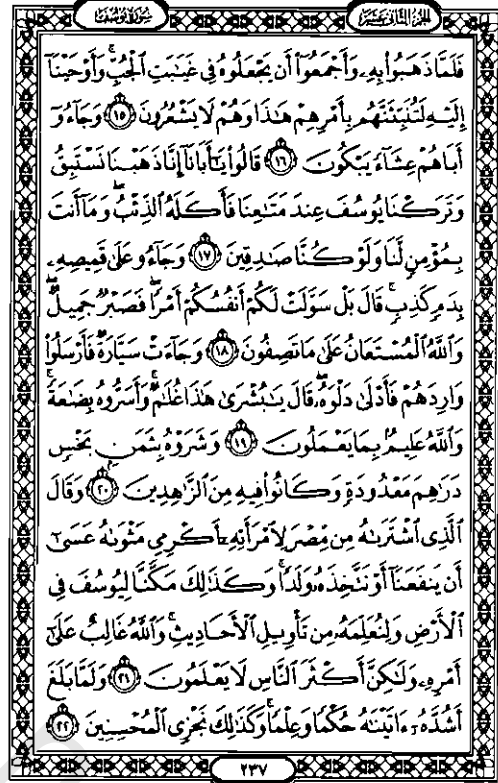
واردهم : من يتقدم الرفقة ليستقى لهم .

أسروه : أخفاه الوارد عن بقية الرفقة .

أكرمى مثواه : أحسنى معاملته .

غالب على أمره : لا يقهره شيء ولا يدفعه عنه أحد .

بلغ أشده : بلغ رشده .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعتقد أن لطف الله ورحمته وعنايته تكون لأهل طاعته وأصفيائه من خلقه .

٢ - أن نتحلى بالصبر الجميل فهو نعم عاقبة الأمور .

٣ - أن نستعين بالله عز وجل على كل ما أهمنا ، فإنه نعم المعين .

المحتوى التربوي :

وتمضي الآيات تميط اللثام عن الجريمة النكراء لإخوة يوسف ، والله سبحانه يُلقى في روع الغلام أنها محنة وتنتهى ، وأنه سيعيش وسيدكر إخوته بموقفهم هذا منه وهم لا يشعرون أنه هو ، ويواجه يوسف محنته في غيابة الحب ، يؤنسه ولا شك ما ألقى الله في روعه ويطمئنه ؛ حتى يأذن الله بالفرج ، ندعه لشهد إخوته بعد الجريمة يواجهون الوالد المفجوع .

يقول صاحب الظلال : « لقد ألهاهم الحقد الفائر عن سبك الكذبة ، فلو كانوا أهدأ أعصاباً ما فعلوها منذ المرة الأولى التي يأذن لهم فيها يعقوب باصطحاب يوسف معهم ! ولكنهم كانوا معجلين لا يصبرون ، يخشون ألا تواتيهم الفرصة مرة أخرى . كذلك كان التقاطهم لحكاية

الذئب المكشوفة دليلاً على التسرع ، وقد كان أبوهم يحذره منها أمس ، وهم ينفونها ، ويكادون يتهمون بها . فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا فى الصباح ليتركوا يوسف للذئب الذى حذرهم أبوهم منه أمس ! وبمثل هذا التسرع جاؤوا على قميصه بدم كذب لطخوه به فى غير إتقان ، فكان ظاهر الكذب حتى ليوصف بأنه كذب .

قال الإمام محمد أبو زهرة فى زهرة التفسير : « قالوا أمرين كاذبين :

الأمر الأول : أنهم ذهبوا يتسابقون ، وتركوه عند متاعهم .

الأمر الثانى : أنهم قالوا : إن الذئب أكله ، وما أكله ذئب ، إنها أكله الحسد والحقد الدفين .

وأدرك يعقوب من دلائل الحال ، ومن نداء قلبه ، أن يوسف لم يأكله الذئب ، وأنهم دبوا له مكيدة ما ، فواجههم بأن نفوسهم قد حسنت لهم أمراً منكراً ، وأنه سيصبر متحملاً متجعلاً مستعيناً بالله على ما يلقونه من حيل وأكاذيب .

وتعود الآيات سريعاً إلى يوسف فى الحب ، لقد كان الحب على طريق القوافل ، التى تبحث عن الماء فى مظانه ، فى الآبار وفى مثل هذا الحب الذى ينزل فيه ماء المطر ويبقى فترة ، ويكون فى بعض الأحيان جافاً كذلك ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ وأرسلوا من يرد لهم الماء ، ويجد يوسف ، ويأسروه بضاعة ، وعزموا على بيعه رقيقاً ، ولما لم يكن رقيقاً فقد أسروه ليخفوه عن الأنظار ثم باعوه بثمن قليل ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ ، لأنهم يريدون التخلص من تهمة استرقاقه وبيعه ، وقبل أن نسدل الستار على هذا المشهد من حياة يوسف ﷺ نقف على بعض اللطائف والفوائد فى الآيات السابقة يقول القاسمى فى محاسن التأويل : قال المهاجمى : إن الجاه يدعو إلى الحسد ، كالمال ، وهو يمنع من المحبة الأصلية من القرابة ونحوها ، بل يجعل عداوتهم أشد من عداوة الأجانب ، وأن الحسد يدعو إلى المكر بالمحسود ، بمن يراعيه ، إنها يكون برؤية الماكر نفسه أكمل عقلاً من المكور به ، وأن الحاسد إذا ادعى النصح والحفظ والمحبة ، بل أظهره فعلاً ، لم يعتمد عليه .

وكذا من أظهر الأمانة قولاً وفعلاً يفعل الخيانة ، وأن الإذلال والإعزاز بيد الله ، لا الخلق ، وأن من طلب مراده بمعصية الله بعد عنه . وأن الخوف من الخلق يورث البلاء ، وأن الإنسان وإن كان نبياً يُخلق أولاً على طبع البشرية وأن اتباع الشهوات يورث الحزن الطويل وأن القدر كائن ، وأن الحذر لا يُغنى عن القدر .

قليل للهدد : كيف ترى الماء تحت الأرض ، ولا ترى الشبكة فوقها ؟ قال : إذا جاء القضاء

عمى البصير .

وفى قوله : ﴿وَاللَّهُ أَلْمُسْتَعَانُ﴾ اعتراف بأن تلبسه بالصبر لا يكون إلا بمعونة الله تعالى .

وقال المهامى : ومن الفوائد أن الفرج قد يحصل من حيث لا يحتسب ، وأنه ينتظر للشدة ، وأن من خرج لطلب شيء قد يجد ما لم يكن في خاطره ، وأن الشيء الخطير قد يعرض فيه ما يهونه ، وأن البشرى قد يعقبها الحزن ، والعزة قد يعقبها الذلة وبالعكس .

وتابع مع السياق ، وقد وصل يوسف إلى مصر ، وبيع ببيع الرقيق ، ولكن الذى اشتراه توسم فيه الخير - والخير يتوسم في الوجه الصباح ، وبخاصة حين تصاحبها السجيا الملاح - فإذا هو يوصى به امرأته خيراً ، وهنا يبدأ أول خيط في تحقيق الرؤيا .

ولكن محنة أخرى من نوع آخر كانت تنتظر يوسف حين يبلغ أشده ، وقد أوتى حكماً وعلماً يستقبل بهما هذه المحنة الجارفة التى لا يقف لها إلا من رحم الله ، إنها محنة التعرض للغواية في جو القصور ، وفي جو ما يسمونه الطبقة الراقية ، وما يغشاها من استهتار وفجور .. ويخرج يوسف منها سليماً معافى في خلقه ودينه ، ولكن بعد أن يخالط المحنة ويصلاها .

لعل من لطائف إتيان قصة يوسف مرة واحدة سرد المحن التى تعرض لها يوسف عليه السلام - وهى عديدة - ليستين لنا أن أكثر الناس - ابتلاء هم الأنبياء فالأمثل ثم الأمثل ، ولكن هذه المحن عندما يزيل ظلامها بريق الأمل ، وتنكشف يسعد صاحبها ولكن يوسف الصديق الذى وهبه الله المنحة بعد المحنة فتولى خزائن الأرض ليقى البلاد المحنة التى ألمت بها وبالأمم المجاورة - موطن إخوته وأبيه .

ولنر في تلك القصة جوانب السمو في الخلق النبوى عند يوسف عليه السلام ؛ إذا بعد حلول النعمة طلب من الله الوفاة ، وتلك خصائص النبوة وسجاياها فى أن تفضل ما عند الله .
ما ترشدنا إليه الآيات تريبوياً :

١ - لطف الله ورحمته وعنايته بأهل طاعته وأصفيائه من خلقه .

٢ - لا يغرنك بكاء المتظلم ، قرب ظالم وهو باك ، كما فعل إخوة يوسف .

٣ - آفة الكذب النسيان ، فقد وضع إخوة يوسف دم شاة على قميص يوسف ، ونسوا أن يمزقوه أو يخرقوه مما دل على كذبهم .

٤ - من غالب الله غلب ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

معانى الكلمات :

راودته : تحايلت لمواقعة إياها .

هيت لك : أقبل ، أسرع .

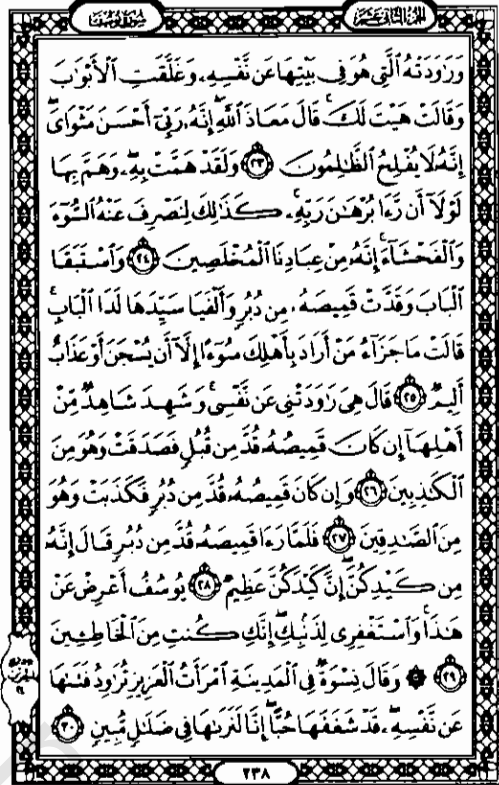
معاذ الله : أعوذ بالله .

هم بها : هم الطباع البشرية مع عصمة الله له من الخطأ .

استبقا الباب : تسابقا إليه يريد الخروج وهى تمنعه .

قدت قميصه : قطعته وشقته .

النيا سيدها : وجد زوجها .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نؤمن بعصمة الله لأنبيائه ، وحفظه لهم من ارتكاب الفواحش .
- ٢ - أن نحذر خلوة غير المحارم فهى من خطوات الشيطان التى تفضى إلى انتهاك المحارم .
- ٣ - ألا ننساق وراء الإسرائيليات فى تفسيرها لقصة سيدنا يوسف .

المحتوى التربوى :

تتحدث الآيات عن المحنة الثانية فى حياة يوسف عليه السلام ، وهى أشد وأعمق من المحنة الأولى ، تحيئه وقد أوتى صحة الحكم وأوتى العلم - رحمة من الله - ليواجهها وينجو منها جزاء إحسانه الذى سجله الله له فى قرآنه .

ويتحدث صاحب الظلال عن هذه المحنة قائلاً : « إن التجربة التى مر بها يوسف - لم تكن فقط فى مواجهة المراودة فى هذا المشهد الذى يصوره السياق ، إنما كانت فى حياة يوسف فترة مراقبته كلها فى جو هذا القصر ، مع هذه المرأة وهى بين سن الثلاثين وسن الأربعين ، مع جو القصر ، وجو البيئة التى يصورها قول الزوج ، أما الحالة التى وجد فيها امرأته مع يوسف :

﴿يُوسُفُ اعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ .

وحتى لا نخوض في التفاسير والآراء المتباينة في قصة المراودة ورد الفعل نقول : إن النص صريح وقاطع في أن رد يوسف المباشر على المراودة السافرة كان هو التأبى ، المصحوب بتذكر نعمة الله عليه ، وبتذكر حدوده وجزاء من يتجاوزون هذه الحدود ، فلم تكن هناك استجابة في أول الموقف لما دعت إليه دعوة غليظة جاهرة بعد تغليق البواب ، وبعد الهتاف باللفظ الصريح الذى يتجمل القرآن في حكايته وروايته : « وقالت : هيت لك » .

وكانت نهاية الموقف النجاة بعد الاعتصام بالله في النهاية عقبة النجاة مع عرض لحظات الضعف بينهما ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جميعاً .

في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهٖ ﴾ يقول صاحب الظلال : « وهو نهاية موقف طويل من الإغراء بعدما أبى يوسف في أول الأمر واستعصم ، وهو تصوير واقعى صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف ، ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة ، ولكن السياق القرآنى لم يفصل في تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة غالباً ؛ لأن المنهج القرآنى لا يريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضاً يستغرق أكثر من مساحته المناسبة في محيط القصة ، وفي محيط الحياة البشرية المتكاملة كذلك » .

قال الزمخشري في الكشاف : « كيف جاز على نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية قلت : لو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى همًا لشدته لما كان صاحبه ممدوحًا عند الله بالامتناع ، لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته » .

ويمضى السياق يستعرض الأحداث فهو قد أثر التخلص بعد أن استفاق وهى عدت خلفه لتمسك به ، وهى ما تزال في هياجها الحيوانى ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴾ نتيجة جذبها له لترده عن الباب ، وتقع المفاجأة : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا آلِ بَابٍ ﴾ وهنا تبدى المرأة المكتملة ، فتجد الجواب حاضراً على السؤال الذى يهتف به المنظر المريب . إنها تتهم الفتى ، ولكنها امرأة تعشق ، فهى تخشى عليه ، فشير بالعقاب المأمون . ﴿ إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . ويجهر يوسف بالحقيقة في وجه الاتهام الباطل ، وهنا يذكر السياق أن أحد أهلها حسم بشهادته هذا النزاع .

وتعليقاً على عصمة الأنبياء يقول أبو السعود في محاسن التأويل : « وحقيقة عصمة الأنبياء هى نزاهتهم ، وبُعدهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التى بعثوا لتزكية الناس منها ، لئلا يكونوا قدوة سيئة ، مفسدين للأخلاق والآداب ، وحجة للسفهاء على انتهاك حرمان الشرائع ، وليس معناها أنهم آلهة منزّهون عن جميع ما يقتضيه الطبع البشرى » .

ومن اللطائف ما قيل : إن هذا الشاهد - الذى حسم فى النزاع - أراد ألا يكون هو الفاضح لها ، ووثق بأن انقطاع قميصه إنما كان من دبر ، فنصبه أمانة لصدقه وكذبا . ثم ذكر القسم الآخر ، وهو قد من قبل ، على الرغم بأنه لم ينقد من قبل حتى ينفى عن نفسه التهمة فى الشهادة ، وقصد الفضيحة وينصفها جميعاً ، فيذكر أمانة على صدقها المعلوم نفية ، كما ذكر أمانة على صدقه المعلوم وجوده . ومن ثم قدم أمانة على صدقها ، على أمانة صدقه فى الذكر ، إزاحة للتهمة ، ووثوقاً بأن الأمانة الثانية هى الواقعة ، فلا يضره تأخيرها .

وبعد ذلك فقد تبين لسيدها حسب الشهادة المبينة على منطق الواقع أنها هى التى راودت ، وهى التى دبرت الاتهام . . وهنا تبدو لنا صورة من الطبقة الراقية فى الجاهلية قبل آلاف السنين وكأنها هى اليوم شاحصة .. رخاوة فى مواجهة الفضائح الجنسية ؛ وميل إلى كتمانها عن المجتمع ، وهذا هم المهم كله . وهكذا إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم .. فهى اللبابة فى مواجهة الحادث الذى يثير الدم فى العروق . والتلطف فى مجابهة السيدة بنسبة الأمر إلى الجنس كله فيما يشبه الشاء .. والتفاتة إلى يوسف البرئ : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ فَاسْمُهُ لَا تَعْرُزُهُ اهْتِمَاماً وَلَا تَتَحَدَّثُ بِهِ، وهذا هو المهم .. محافظة على الظواهر ! وعظة إلى المرأة التى راودت فتاها عن نفسه ، وضبطت متلبسة بمساورته وتمزيق قميصه : ﴿وَأَسْتَغْفِرُكَ لِذُنُوبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ .

ولم يحل السيد بين المرأة وفتاها . ومضت الأمور فى طريقها . فهكذا تمضى الأمور فى القصور ، ولكن للقصور جدراناً ، وفيها خدام وحشم . وما يجرى فى القصور لا يمكن أن يظل مستوراً وبخاسة فى هذه الأوساط ، الذى ليس لنسائه من هم إلا الحديث عما يجرى فى محيطهم ، ولأول مرة نعرف أن المرأة هى امرأة العزيز ، وأن الرجل الذى اشتراه من مصر وهو عزيز مصر - أى كبير وزرائها - ليعلن هذا مع إعلان الفضيحة العامة بانتشار الخبر فى المدينة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - عصمة الله - تعالى - لأنبيائه ، وحفظه إياهم من ارتكاب الفواحش والذنوب .
- ٢ - حرم الإسلام الخلوة بالنساء الأجنبية وغير المحرمات « منعاً للفواحش وصيانة للأسرة وحفظاً للكرامة والشرف .

٣ - مقابلة الإحسان بالإحسان ، وعدم الخيانة لمن أكرمنا واتممتنا على ماله أو عرضه .

٤ - الحذر من الشيطان ووساوسه ، ومن النفس الأمارة بالسوء وشهواتها المحرمة .

معاني الكلمات :

- أكبره : دهشن برؤية جماله .
 حاش لله : تنزيهاً لله عن العجز .
 فاستعصم : فامتنع امتناعاً شديداً .
 أصب إليهن : أميل إلى إجابتهن .
 بدا : ظهر .
 أعصر خمراً : أعصر عنباً يتحول لخمراً أسقيه للملك .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على ما كان من قبل نساء المدينة وما فعلته امرأة العزيز معهن .
- ٢ - أن نحذر من فتنة الجمال ؛ إذ هي أقطع فتنة يمر بها إنسان .
- ٣ - أن نستشعر هم الدعوة إلى دين الله وإن كنا في حالك الشدة .

المحتوى التربوي :

تصور الآيات ما كان من قبل نساء المدينة ، وما فعلته امرأة العزيز معهن عندما سمعت بتشييعهن عليها ، فقد أقامت لهن مأدبة في قصرها ، وندرك من هذا أنهن كن من نساء الطبقة العليا ، فهن اللواتي يدعين إلى المآدب في القصور ، وهن اللواتي يؤخذن بهذه الوسائل الناعمة المظهر ، ويبدو أنهن كن يأكلن وهن متكئات على الوسائد والحشاي ، فأعدت لهن هذا المتكأ ، وآتت كل واحدة منهن سكيناً تستعملها في الطعام .

وبينما هن منشغلات بتقطيع اللحم أو تقشير الفاكهة ، فاجأتهن بيوسف فأمرته أن يخرج عليهن ليرينه فيعجبن برؤيته ، فيذهلن عن أنفسهن ويقطعن أيديهن بدل الفاكهة التي يقطعنها للأكل ، وبذلك تكون قد دفعت عن نفسها المعرة الملامة ، وجرحن أيديهن بالسكاكين للدهشة

المفاجئة ، ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ وهى كلمة تنزيه ، تقال فى هذا الموضع ، تعبيراً عن الدهشة بصنع الله ، ونفين عن يوسف عليه السلام البشرية ، وأثبتن له الملكية لجمالها .

ورأت المرأة أنها انتصرت على نساء طبقتها ، فقالت فى استعلاء وعلى غير حياء - أمام النساء من بنات جنسها وطبقتها ، والتي تفخر عليهن بأن هذا فى متناول يدها ، وإن كان استعصى قياده مرة ، فهى تملك هذا القياد مرة أخرى ، قالت : فانظرون ماذا لقين منه من البهر والدهش والإعجاب ، ولقد بهرنى مثلكن فراودته عن نفسه فطلب الاعتصام ، تريد أن تقول : إنه عانى الاعتصام والتحرز من دعوتها وفتتها ، وبالغ فى الامتناع والتحفط ، ولا يزال مستزيداً منها ، ثم قالت تتوعده إذا لم يفعل ما تطلب من إعطائها مرادها منه بالسجن ، وسيكون من المذلين المهانين مع السراق والسفالك فى السجن ، ومن لم يرض بمثل فى التحرير على السرير أميراً ، فليكن فى السجن على الحصر حسيراً .

فلما سمع يوسف تهديدها ﴿ قَالَ رَبِّ آلَسْجَنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ قال أبو السعود : « هذا فرع منه عليه السلام إلى ألطف الله تعالى ، جريا على سنن الأنبياء والصالحين ، فى قصر نيل الخير إنه والنجاة من الشرور على جناب الله عز وجل ، وسلب القوى والقدر عن أنفسهم ، ومبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيدهن ؛ بإظهار أن لا طاقة له بالمداغة ، كقول المستغيث : أدركنى وإلا هلكت ، لا أنه يطلب الإجبار والإلجاء إلى العصمة والعفة ، وفى نفسه داعية تدعوه إلى هواهن فأجاب الله دعاءه ، وعصمه عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك ، والله تعالى يسمع الكيد ويسمع الدعاء ، ويعلم ما وراء الكيد وما وراء الدعاء ، وهكذا اجتاز يوسف عليه السلام محنته الثانية ، وظهر لهم من المصلحة بعد ما رؤوا الشواهد على براءته ، ليسجنه إلى زمان ؛ لإبداء عذر الحال ، وإرخاء السر على القيل والقال ، وللإيهام أنهم سجنوه لأنه راودها عن نفسها ، وأنهم سجنوه لذلك .

وتأتى المحنة الثالثة والأخيرة من عن الشدة فى حياة يوسف ، وهى محنة السجن بعد ظهور البراءة والسجن للبرى المظلوم أقسى ، وإن كان فى طمأنينة القلب بالبراءة تعزية وسلوى .

ودخل يوسف عليه السلام السجن ، ودخل معه السجن بتقدير الله الخفى الذى يعبر عنه جاهلوه بالمصادفة والاتفاق : فتبان مملوكان تبين فيما بعد أنهما من فتیان ملك مصر .

يقول الإمام محمد أبو زهرة : « هبطت الفتنة فى نفوس النسوة ، ولكن صداها كان يتردد بين الناس ، وخصوصا النساء ، وقد آمن الملك بحقيقتين : عفة يوسف ، وإغواء امرأته ، وانضم من كن يلمنها ، وتشايح الخبر فى المدينة ، فرأوا أن من حسن السياسة أن يسجن يوسف ليبعد عامل الاستهواء ، وليس الناس هذه السيرة ...

وكان تأكيد السجن ؛ لأنه لم يكن منطقياً أن يسجن وهو البرى ، ولكن لأنهم وجدوه إطفاء لهذه الشائعة التى هزت مقومات المجتمع ، وأشاعت القول بالفاحشة .. عن أكبر سيدة فى مصر ،

فكان التأكيد بالسجن ليقاوم منطق البراءة الذي يوجب الثناء وطيب الجزاء ، يدل العقاب ، والإلقاء في غياهب السجن .

ويختصر السياق ما كان من أمر يوسف في السجن ، وما ظهر من صلاحه وإحسانه ، فوجه إليه الأنظار وجعله موضع ثقة المسجونين ، وفيهم الكثيرون مما ساقهم سوء الطالع مثله في القصر أو الحاشية، فغضب عليهم في نزوة عارضة، فألقى بهم في السجن ، يختصر السياق هذا كله ليعرض مشهد يوسف في السجن وإلى جواره فتان أنسا إليه ، فكل منهما قص عليه رؤيا رآها ، ويطلب كلاهما إليه تعبيرها، لما يتوسمأنه فيه الطيبة والصلاح وإحسان العبادة والذكر والسلوك ؛ فالساقى قد رأى أنه يعصر خمرًا - يعنى عنبًا - والآخر هو الخباز ، رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً والطير تأكل منه .

قال صاحب الظلال : « ويتنهد يوسف هذه الفرصة ليثبت بين السجناء عقيدته الصحيحة ، فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة ، القائمة على إعطاء حق الربوبية للحكام الأرضيين ، وجعلهم بالخضوع لهم أرباباً يزاولون خصائص الربوبية ويصبحون فراعين ، ويبدأ يوسف مع صاحبي السجن من موضوعهما الذي يشغل بالهما ، فيطمئنهما ابتداء إلى أنه سيؤول لهم الرؤى ؛ لأن ربه علمه علماً لدنياً خاصاً جزاء على تجرده لعبادته وحده ، وتخلصه من عبادة الشركاء ، وهو وآباؤه من قبله ، وبذلك يكسب ثقتهم منذ اللحظة الأولى بقدرته على تأويل رؤياهما ، كما يكسب ثقتهم كذلك لدينه » .

ويبدو في طريقة تناول يوسف للحديث لطف مدخله إلى النفوس ، وكياسته وتنقله في الحديث في رفق لطيف ، وهي سمة هذه الشخصية البارزة في القصة بطولها .

ويأتى التوكيد الموحى بالثقة بأن الرجل على علم لدنى ، يرى به مقبل الرزق وينبئ بها يرى ، وهذا فوق دلالاته على هبة الله لعبده الصالح يوسف - وهي كذلك بطبيعة الفترة وشيوع النبوءات فيها والرؤى ، وقوله : ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ تحيىء في اللحظة المناسبة من الناحية النفسية ، ليدخل بها إلى قلبيهما بدعوته إلى ربه ، وليعلم بها هذا العلم اللدنى الذى سيؤول لهما رؤياهما عن طريقه .

وهذا العلم أوحى الله به إلى يوسف وعلل هذا العلم فقال : إني رفضت واجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر ، فلا يرجون ثواباً ولا عقاباً في المعاد .

ما ترشدنا إليه الآيات تريبوياً :

١ - اللجوء إلى الله في الشدائد ، والضراعة إليه عند الحاجة أدعى لاستجابة الدعاء .

٢ - عظمة بلاء الأنبياء وما أصابهم من شدائد ، وكل إنسان يبتليه الله على قدر دينه .

٣ - الإيمان بالله ، والإيمان بدار الجزاء أعظم أركان الإيمان

معاني الكلمات :

صاحبي السجن : ساكني السجن .

أرباب : آلهة .

سلطان : حجة وبرهان .

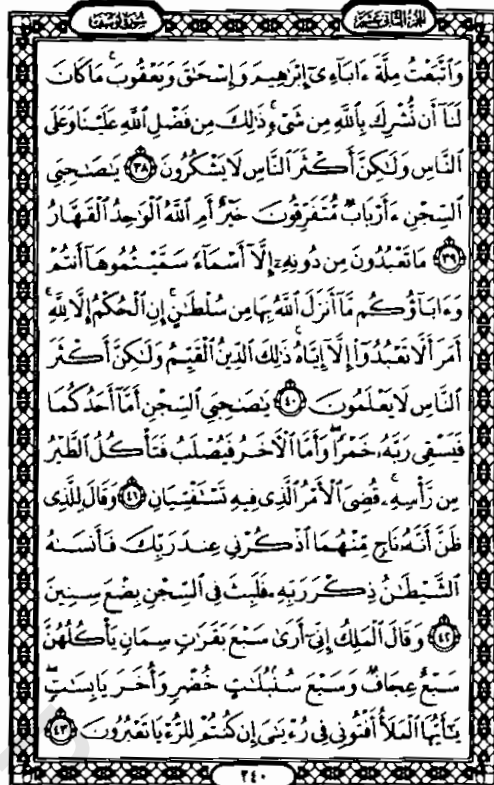
القيم : المستقيم ، أو الثابت بالبراهين .

ربه : سيده .

تستفيان : تسألان عنه .

عجاف : مهازيل ضعاف جداً .

تعبرون : تعلمون تفسيرها .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتعرف على مقومات العقيدة التي قالها يوسف عليه السلام في هذه الآيات .

٢ - أن نؤمن بأن الحكم لا يكون إلا لله .

٣ - أن نتعلم فن الدعوة من يوسف عليه السلام .

المحتوى التربوي :

يمضي يوسف عليه السلام بعد بيان معالم الكفر ليبين معالم ملة الإيمان التي يتبعها هو وآباؤه ، فهي ملة التوحيد الخالص الذي لا يشرك بالله شيئاً قط ، والهداية إلى التوحيد فضل من الله على المهتدين ، وهو فضل في متناول الناس جميعاً لو اتجهوا إليه وأرادوه ، ففي فطرتهم أصوله وهواتفه ، وفي الوجود من حولهم موحياته ودلائله ، وفي رسالات الرسل بيانه وتقديره ، ولكن الناس هم الذين لا يعرفون هذا الفضل ولا يشكرونه .

ثم يتوغل في قلبيهما أكثر وأكثر ، ويفصح عن عقيدته ودعوته إفصاحاً كاملاً ، ويكشف عن فساد اعتقادهما واعتقاد قومهما .

ويرسم يوسف عليه السلام بكلمات قليلة كل معالم هذا الدين ، وكل مقدمات هذه العقيدة ، إنه يتخذ منها صاحبين ، ويتحجب إليهما بهذه الصفة المؤنسة ، ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة ، وهو لا يدعوهما إليه دعوة مباشرة ، إنما يعرضها قضية موضوعية .

ويبدأ بسؤال يهجم على الفطرة في أعماقها ، يقول صاحب الظلال : « إن الفطرة تعرف لها إلها واحداً فقيم إذن تعدد الأرباب ؟ إن الذى يستحق أن يكون ربا يعبد ويطاع أمره ويتبع شرعه هو الله الواحد القهار ، ومتى توحد الإله وتقرر سلطانه القاهر في الوجود فيجب تبعاً لذلك أن يتوحد الرب وسلطانه القاهر في حياة الناس ، وما يجوز لحظة واحدة أن يعرف الناس أن الله واحد ، وأنه هو القاهر ، ثم يدينوا لغيره ويخضعوا لأمره ، ويتخذوا بذلك من دون الله ربا ، إن الرب لابد أن يكون إلها يملك أمر هذا الكون ويسيره ، ولا ينبغي أن يكون العاجز عن تسيير أمر هذا الكون كله ربا للناس يقهرهم بحكمه ، وهو لا يقهر هذا الكون كله بأمره ، والله الواحد القهار خير أن يدين العباد لربوبيته من أن يدينوا للأرباب المتفرقة الأهواء الجاهلة القاصرة العمياء .. » .

ثم يخطو يوسف عليه السلام خطوة أخرى في تنفيذ عقائد الجاهلية وأوهامها الواهية ، فما هذه الأرباب سواء كانت من البشر أم من غير البشر من الأرواح والشياطين والملائكة والقوى الكونية المسخرة بأمر الله - ليست من الربوبية فى شيء ، وليس لها من حقيقة الربوبية شيء .

وهنا يضرب يوسف عليه السلام ضربه الأخيرة الحاسمة فيبين : لمن ينبغي أن يكون السلطان ، لمن ينبغي أن يكون الحكم ، لمن ينبغي أن تكون الطاعة والعبادة ؟

فالحكم لا يكون إلا لله ، فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته ؛ إذ الحاكمية من خصائص الألوهية ، من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته ، سواء ادعى هذا الحق فرد ، أو حزب ، أو هيئة ، أو أمة ، أو الناس جميعاً في صورة منظمة عالمية ، ومن نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته وادعاها فقد كفر بالله كفراً بواحاً .

ويوسف عليه السلام يجعل اختصاص الله بالعبادة تعليلاً لاختصاصه بالحكم ، فالعبادة - أى الدينونة - لا تقوم إذا كان الحكم لغيره ، ويقرر يوسف عليه السلام أن اختصاص الله سبحانه بالحكم تحقيق لاختصاصه بالعبادة - هو وحده الدين القيم ، فلا دين فيما سوى هذا الدين ، ولكن أكثر الناس يجهلون العلم بهذا ، والذى لا يعلم شيئاً لا يملك الاعتقاد فيه .

إن صاحب العقيدة الصحيحة إذا تمكنت منه ، وخالطت لحمه ودمه ووجدانه لا تمنعه المحن من أن ينشر دعوته ، فالسجن وهو ابتلاء شديد لم يعفه من تصحيح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة والأوضاع الفاسدة .

لقد شهد السجن انطلاق الدعوة ، وظهور نعمة الله في تعبير للرؤى ، وتأكيده لبراءته .

يقول صاحب المنار : « ومن العجيب أن هذه الحقيقة التي بينها القرآن في مئات من الآيات البينات تتلى في السور الكثيرة بالأساليب البليغة ، صار بجهلها كثير من الذين يدعون اتباع القرآن ؛ فمنهم من يجهل حقيقة التوحيد نفسه فيتوجهون إلى غير الله ، ومنهم من يعرف معنى التوحيد ولكنهم يجهلون أن جميع رسل الله دعوا إليه جميع الأمم ، فهم يزعمون أن البشر نشؤوا على الأديان الوثنية حتى كان أول من دعاهم إلى التوحيد إبراهيم عليه السلام من زهاء أربعة آلاف سنة ، والقرآن حجة عليهم بتصريحه أن الله تعالى أرسل في جميع الأمم رسلاً يدعوهم إلى التوحيد » .

وإلى هنا يبلغ يوسف ما يريد من الدرس الذي ألقاه ، ثم يؤول لها الرؤيا في نهاية الدرس ، ليزيدها ثقة في قوله كله وتعلقاً به ، ولم يعين من هو صاحب البشرى ، ومن هو صاحب المصير السيئ تلطفاً وتخرجاً من المواجهة بالشر والسوء ، ولكنه أكد لها الأمر وثقاً من العلم الذي وهبه الله له ، وقضى الأمر وهو كائن كما قضاه الله .

وقال يوسف عليه السلام للذي علم نجاته من الفتين ، أى خلوصه من السجن والقتل وهو الساقى ؛ اذكر حالى وصفتى ، وعلمى بالرؤيا ، وما جرى علىّ ، عند الملك سيدك عسى أن يخلصنى مما ظلمت به ، وشغله الشيطان حتى نسى ذكر يوسف عند الملك ، فمكث يوسف عليه السلام في السجن بضع سنين .

ولما دنا الفرج من يوسف عليه السلام برحمته تعالى ، وما هياه من الأسباب : رأى ملك مصر رؤيا ، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا ﴿ سَنِعْ بَقَرَتِ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَنِعٌ عَجَافٌ وَسَنِعٌ سُنبُكَتِ خُضِرٍ وَأُخْرَ يَابَسَتِ ﴾ فهالته وتعجب من أمرها ، وما يكون تفسيرها ، فجمع الكهنة وكبراء دولته وأمراءه وقص عليهم ما رأى ، وسألهم عن تأويلها ، فلم يعرفوا ذلك .

والآن لقد مرت بنا رؤى ثلاث : رؤيا يوسف ، ورؤيا صاحبه السجن ، ورؤيا الملك وطلب تأويلها في كل مرة ، والاهتمام بها يعطينا صورة من جو العصر كله في مصر وخارج مصر ، وأن الهبة اللدنية التي وهبها يوسف كانت من روح العصر وجوه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - الخضوع لله وحده والدينونة لله وحده .

٢ - يجب أن يختار الداعية الوقت المناسب لدعوته ، وأن يكون المدعوون على حالة تؤهلهم لقبول الدعوة .

٣ - السعى في الأسباب مطلوب إسلامياً ، ولا ينافى التوكل على الله .

معانى الكلمات :

أضغاث أحلام : تغاليطها وأباطيلها .

أذكر بعد أمة : تذكر بعد مدة طويلة .

دأبا : دائبين مستمرين .

فدروه : فاتركوه .

تحصنون : تحبثونه من البذور للزراعة .

يفاث الناس : ينزل المطر فتخصب

أراضيهم .

يعصرون : ما يمكن عصره كالزيتون .

حصحص الحق : ظهر الحق وانكشف .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتعرف على عجز الملأ ، وتفسير يوسف عليه السلام للرؤيا .٢ - أن نتعرف على تبرئة يوسف عليه السلام .

٣ - أن نعلم أن الله جل وعلا جاعل لكل ضيق مخرجاً ، وأن من يتق الله يجعل له من أمره

يسراً .

المحتوى التربوى :

طلب الملك تأويل رؤياه ، فعجز الكهنة عن تأويلها ، أو أحسوا أنها تشير إلى سوء لم يريدوا أن يواجهوا به الملك على طريقة رجال الحاشية في إظهار كل ما يسر الحكام وإخفاء ما يزعجهم ، وصرف الحديث عنه ، فقالوا : إنها أخلط أحلام مضطربة ، وليست رؤيا كاملة تحتتمل التأويل ، أو أنها أحلام باطلة ولا تأويل لها ، وإنما التأويل للرؤيا الصادقة .

وهنا تذكر أحد صاحبيه في السجن الذى نجا منها وأنساه الشيطان ذكر ربه ، وذكر يوسف فى دوامة القصر والحاشية والعصر والخمر والشراب ، هنا تذكر الرجل الذى أول له رؤياه ورؤيا

صاحبه ، فتحقق التأويل ، فقال للملك والذين جمعهم لذلك : أنا أخبركم بأمر هذه الرؤيا ﴿ فَأَرْسَلُونِي ﴾ إلى يوسف الصديق إلى السجن ، فبعثوا فجاءه فقال : يا يوسف أيها الصديق ، وذكر المنام الذى رآه الملك ، فعند ذلك ذكر له يوسف ~~الذي~~ ، تعبيرها من غير تعنيف لذلك الفتى فى نسيانه ما وصاه به ، ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك ، بل قال : يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ، ففسر البقر بالسنين ؛ لأنها تثير الأرض التى تستغل منها الثمرات والزررع ، وهن السنبلات الخضر .

ثم أرشدهم إلى ما يعتمدونه فى تلك السنين ، فقال : مهما استغللتن فى هذه السبع - السنين الخصب فاخزنوه فى سنبله ؛ ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إلا المقدار الذى تأكلونه ، وليكن قليلاً لا تسرفوا فيه ؛ لتتفخوا فى السبع الشداد ، وهن السبع السنين المُحَل التى تعقب هذه السبع متواليات ، وهن البقرات العجاف اللاتى يأكلن السمان ؛ لأن سنى الجذب يؤكل فيها ما جمعه فى سنى الخصب ، وهن السنبلات اليابسات ، وأخبرهم أنهم لا ينبتن شيئاً ، وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شئ ، إلا قليلاً مما يحفظونه ويصونونه من التهامها .

ثم بشرهم بعد الجذب بعام رخاء يعقبهم بعد ذلك بالغيث وهو المطر ، وتغل البلاد ، ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم ، من زيت ونحوه وسكر ونحوه ، حتى قال بعضهم : يدخل فيه حلب اللبن أيضاً .

وهنا نلاحظ أن هذا العام الرخاء لا يقابله رمز فى رؤيا الملك ، فهو إذن من العلم اللدنى الذى علمه الله يوسف ، فبشر به الساقى ليشير الملك والناس بالخلاص من الجذب والجوع بعام رخى رغيد .

ويتنقل السياق فجأة لنسمع رغبة الملك فى رؤية يوسف وأمره أن يأتيه به ، ونجد يوسف يرد على رسول الملك الذى لا نعرف : إن كان هو الساقى الذى جاءه أول مرة ، أو رسولا تنفيذيا مكلفا بمثل هذا الشأن ، نجد يوسف السجين الذى طال عليه السجن لا يستعجل الخروج حتى تحقق قضيته ، ويتبين الحق واضحاً فى موقفه ، وتعلن براءته على الأشهاد من الوشائيات والدسائس والغمز فى الظلام .

يقول صاحب الظلال : « لقد سكبت هذه التربية وهذا الأدب فى قلبه السكىنة والثقة والطمأنينة ، فلم يعد معجلاً ولا عجولاً ، إن أثر التربية الربانية شديد الوضوح فى الفارق بين الموقفين : الموقف الذى يقول يوسف فيه للفتى : ﴿ أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ، والموقف الذى يقول له فيه : ﴿ أَزِجْعُ إِلَى رَبِّكَ فَسْئَلُهُ مَا بِآلِ الْيَسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ والفارق بين الموقفين بعيد » .

وقال الفخر الرازي : واعلم أن الذي فعله يوسف من الصبر والتوقف إلى أن تفحص الملك عن حاله هو اللائق بالحزم والعقل ، وبيانه من وجوه :

الأول : « إنه لو خرج في الحال فربما كان يبقى في قلب الملك من تلك التهمة ، فبعد خروجه لا يقدر أحد أن يلطخه بتلك الرذيلة ...

الثاني : إن الإنسان الذي بقى في السجن اثنتى عشرة سنة إذا طلبه الملك ، وأمر بإخراجه الظاهر أنه يبادر بالخروج ، فحيث لم يخرج وعرف منه كونه في نهاية العقل والصبر والثبات ، وذلك يصير سببا لأن يعتقد فيه بالبراءة عن جميع أنواع التهم ، ولأن يحكم بأن كل ما قيل فيه كان كذبا وبهتاناً .

الثالث : عن التماسه من الملك أن يتفحص عن حاله من تلك النسوة يدل أيضاً على شدة طهارته ؛ إذ لو كان ملوثاً بوجه ما لكان خائفاً أن يذكر ما سبق .

الرابع : .. كان غرضه ~~الملك~~ من ذلك ألا يبقى في قلبه التفتات إلى رد الملك وقبوله ، وكان هذا العمل جارياً مجرى التلافي لما صدر من التوسل إليه في قوله : ﴿ أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ليظهر أيضاً هذا المعنى لذلك الشرايبي ، فإنه هو الذي كان واسطة في الحالتين معا .

ورجع الرسول فأخبر الملك وأحضر الملك يستجوبهن ، فقال مخاطباً لهن كلهن وهو يريد امرأة العزيز : ما شأنكن وخبركن إذ راودتن يوسف يوم الضيافة ؟ فقال النسوة جواباً للملك : حاشا لله أن يكون يوسف متهماً ، والله ما علمنا عليه من سوء .

وهنا تتقدم امرأة العزيز لتبرئ ساحته وتقول : إنه لصادق في قوله من أمر مراودتي له ، وإنما اعترفت بهذا على نفسى ، ليعلم زوجى أنى لم أخنه في نفس الأمر ، ولا وقع المحذور الأكبر ، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع ، فلهذا اعترفت ليعلم أنى بريئة ، والله لا يهدى كيد الحائنين .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - وجوب اغتنام الفرص للدعوة إلى الله تعالى .

٢ - أهمية الادخار في وقت اليسر والرخاء لأوقات العسر والشدة .

٣ - مكافأة المحسنين ، وتبرئة المظلومين ، وتقدير العلماء وأصحاب الفضل ، وشرعية دفاع المتهم عن نفسه ، والتقوى الأمين لا يضيع الله سعيه .

معاني الكلمات :

- لأماره : لكثيره الأمر .
مكن : ذو مكانه رفيهه .
يتبوا منها : يتخذ منها منزلا .
جهزهم بجهازهم : أعطاهم ما هم في حاجه إليه .
سراود عنه أباه : سنجتهد في طلبه منه .
بضاعتهم : ثمن ما اشتروه من الطعام .
رحالهم : أوعيتهم التي فيها الطعام وغيره .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على طلب يوسف الولاية من سلطة كافرة .
- ٢ - أن نعلم كيفية تمكين الله ليوسف عليه السلام في الأرض ، والدلالات الإيجابية على ذلك .
- ٣ - أن نعرف ما جرى من أحداث بين يوسف عليه السلام وإخوته .

المحتوى التربوي :

ما زال السياق يتحدث عن امرأة العزيز وهي في حضرة الملك تعترف بما فعلته في حق يوسف عليه السلام وتقول : إنها لا تبرئ نفسها مع ذلك من الخيانة ، فإنها قد خانته حين فر منها ، وقالت ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ ﴾ وأودعته السجن ، وتريد الاعتذار مما كان منها ، إن كل نفس : ﴿ لَا مَارَةَ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمْتَنِي ﴾ إلا نفسا رحما الله بالعصمة كنفس يوسف واستغفرت ربها واسترحمت مما ارتكبت .

وتبدأ مرحلة التمكين والرخاء والعز ، فلقد تبينت للملك براءة يوسف وتبين له معها علمه في تفسير الرؤيا ، وحكمته في طلب تمحيص أمر النسوة ، كذلك تبينت له كرامته وإياؤه وهو لا يتهاف على لقاء الملك وأى ملك ؟ ملك مصر ، ولكن يقف وقفة الرجل الكريم المتهم في

سمعته ، المسجون ظلياً ، يطلب رفع الاتهام عن سمعته قبل أن يطلب رفع السجن عن بدنه ، ويطلب الكرامة لشخصه ولدينه .

كل أولئك أوقع في نفس الملك احترام هذا الرجل وحبه ، فطلبه الملك ليستخلصه لنفسه ويجعله بمكان المستشار والنجى والصدى .

يقول صاحب الظلال : « فيا ليت رجالا يمرغون كرامتهم على أقدام الحكام - وهم أرباء مطلقو السراح - فيضعوا النير في أعناقهم بأيديهم ، ويتهافتوا على نظرة رضا وكلمة ثناء ، وعلى خطوة الأتباع لا مكانة الأصفياء ، يا ليت رجالا من هؤلاء يقرؤون هذا القرآن ، ويقرؤون قصة يوسف ؛ ليعرفوا أن الكرامة والإباء والاعتزاز تدر من الريح - حتى المادى - أضعاف ما يدره التمرغ والتزلف والانحناء » .

فلما كلمه تحقق له صدق ما توسمه ، فإذا هو يطمئنه على أنه عند الملك ذو مكانة وفي أمان ، وتلك المكانة وهذا الأمان لدى الملك وفي حماه ، وطالب يوسف عليه السلام بما يعتقد أنه قادر على أن ينهض به من الأعباء في الأزمة القادمة التي أول بها رؤيا الملك، خيراً مما ينهض بها أحد في البلاد، وبما يعتقد أنه سيصون به أرواحا من الموت وبلاداً من الخراب .

قال الزمخشري : « فإن قلت : كيف جاز أن يتولى عملاً من يد كافر ، ويكون تبعاً له ، وتحت أمره وطاعته ؟ قلت : روى مجاهد أنه كان قد أسلم ، وعن قتادة : هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر ، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه ، وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق ، فله أن يستظهر به ، وقيل : كان الملك يصدر عن رأيه ، ولا يعترض عليه في كل ما رأى ، فكان في حكم التابع له والمطيع » .

ويقول صاحب الظلال : « وهنا تعرض شبهة : أليس في قول يوسف عليه السلام : « أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا » أمران محظوران في النظام الإسلامي :

أولهما : طلب التولية ، وهو محظور بنص قول الرسول ﷺ : « إنا والله لا نولى هذا العمل أحداً سألناه (أو حرص عليه) » . (متفق عليه) .

وثانيهما : تزكية النفس ، وهي محظورة بقوله تعالى : « فَلَا تَرْكُؤُوا أَنْفُسَكُمْ » ؟ ولا نريد أن نجيب بأن هذه القواعد إنما تقررت في النظام الإسلامي الذي تقرر على عهد محمد رسول الله ﷺ ، وأنها لم تكن مقررة على أيام يوسف عليه السلام ، والمسائل التنظيمية في هذا الدين ليست موحدة كأصول العقيدة الثابتة في كل رسالة وعلى يد كل رسول .

وقد نشأ الفقه في مجتمع مسلم ، ونشأ من خلال حركة هذا المجتمع في مواجهة حاجات الحياة الإسلامية الواقعية ، كذلك لم يكن الفقه الإسلامي هو الذي أنشأ المجتمع المسلم ، إنما كان

سورة يوسف - الجزء الثالث عشر - ١٠٩
المجتمع المسلم بحركته الواقعية لمواجهة حاجات الحياة الإسلامية هو الذى أنشأ الفقه الإسلامى.

ويمكن الله ليوسف فى أرض مصر يتصرف فيها كيف يشاء ، ويتخذ منها منزلاً حيث يشاء بعد الضيق والحبس والإسار ، وأعقبه الله عز وجل السلامة والنصر والتأييد بعد صبره على أذى إخوته ، وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز ، وما ادخره الله لنبيه يوسف عليه السلام فى الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل .

وباشر يوسف عليه السلام الوزارة بمصر ، ومضت السبع السنين المخصصة ، ثم تلتها سنين الجذب ، وعم القحط بلاد مصر بكاملها ووصل إلى بلاد كنعان ، وكان فى جملة من ورد للميرة إخوة يوسف ، عن أمر أبيهم لهم فى ذلك ، فإنه بلغهم أن عزيز مصر يعطى الناس الطعام بثمنه ، وركبوا عشرة نفر ، واحتبس يعقوب عليه السلام عنده بنيامين شقيق يوسف عليه السلام ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم حين نظر إليهم ، وهم لا يعرفونه ؛ لأنهم فارقوه وهو صغير فباعوه للسيارة .

ولما وفاهم كيلهم ، وحل لكل واحد بعيره بعد أن أكرمهم غاية الإكرام ، ولا شك أنه قد سألهم عن أحوالهم فأخبروه عن أبيهم وأولاده بالتفصيل ، فقال : اتئوني بأخيكم هذا الذى ذكرتم لأعلم صدقكم فيما ذكرتم ، وقد رأيتم أننى أوفى الكيل للمشتريين ، فسأوفىكم نصيبكم حين يئىء معكم ، ورأيتم أننى أكرم التزلاء فلا خوف عليه ، بل سيلقى منى الإكرام المعهود . قالوا : سنحرص على مجيئه إليك بكل ممكن ولا نبقى مجهوداً لتعلم صدقنا فيما قلناه .

أما يوسف فقد أمر غلمانَه أن يدسوا البضاعة التى حضر بها إخوته ليستبدلوا بها القمح والعلف فى أمتعتهم من حيث لا يشعرون لعلهم يعرفون حين يرجعون أنها بضاعتهم التى جاؤوا بها .

ويبدو أنهم فى دخلتهم على أبيهم ، وقبل أن يفكوا متاعهم ، عاجلوه بأن الكيل قد تقرر منعه عنهم ما لم يأتوا عزيز مصر بأخيه الصغير معهم ، فهم يطلبون إليه أن يرسل معهم أخاهم الصغير ليكتالوا له ولهم ، وهم يعدونه بحفظه .
ما ترشدنا إليه الآيات تربويّاً :

١ - جواز طلب الولاية لمن علم من نفسه الأمانة والكفاءة .

٢ - ضرورة حسن اختيار ولى الأمر لكل إنسان للمكان المناسب له ، والإفادة من خبرة وكفاءة ذوى الخبرة والكفاءة .

٣ - أهمية الادخار فى حياة الأفراد .

معاني الكلمات :

أخيه : يوسف .

متاعهم : طعامهم أو رحالهم .

ما ينبغي : ما نطلب الإحسان بعد ذلك .

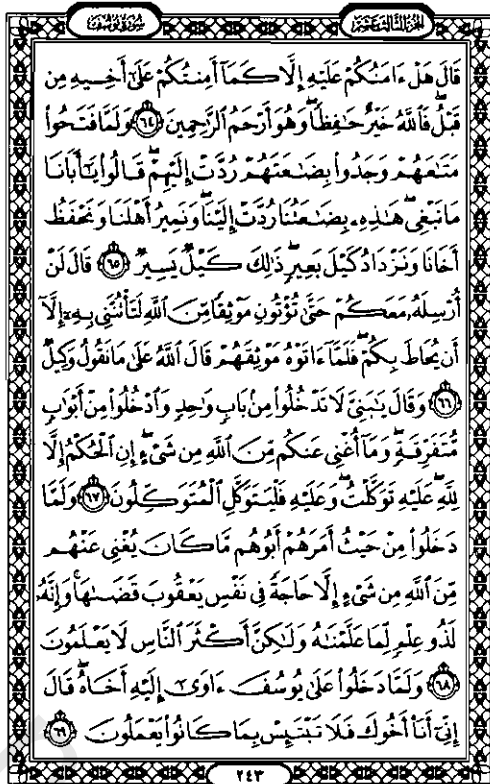
نمير أهلنا : نجلب لأهلنا الطعام من مصر .

موثقا : عهدا مؤكدا باليمين .

يحاط بكم : تهلكوا جميعا أو تغلبوا .

أوى : ضم .

تبتش : تحزن .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتعلم حسن التدبير من يوسف عليه السلام حتى يأتي بأخيه .

٢ - أن نعلم مدى ثقة يعقوب في ربه عز وجل .

٣ - أن نعرف أن أخذ الحيلة أمر مطلوب .

المحتوى التربوي :

يبين السياق رد يعقوب على أولاده عندما رجعوا من مصر ، وطلبوا منه أن يرسل معهم بنيامين في المرة القادمة ، وإذا به يجر بها أثاره وعدهم بحفظه من شجون فقال : فخلوني من وعودكم وخلوني من حفظكم ، فإذا أنا طلبت الحفظ لولدي والرحمة بي ، وبعد الاستقرار من المشوار ، والراحة من السفر فتحوا أوعيتهم ليخرجوا ما فيها من غلال ، فإذا هم يجدون فيها بضاعتهم التي ذهبوا يشترون بها بعد أن أوفى لهم الكيل ، وكان ذلك ليضطربهم إلى العودة بأخيهم ، واتخذوا من رد بضاعتهم إليهم دليلا على أنهم غير باغين فيما يطلبون من استصحاب أخيهم ولا ظالمين .

ثم أخذوا يجرّونه بالتلويح له بمصلحة أهلهم الحيوية في الحصول على الطعام ، ويؤكدون له عزمهم على حفظ أخيههم ، ويرغبونه بزيادة الكيل لأخيهم ، وهو ميسور لهم حين يرافقهم .

ويبدو من قولهم : ﴿ وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ أن يوسف عليه السلام كان يعطى كل واحد وسق بعير - وهو معروف - ولم يكن يبيع كل مشتر ما يريد ، وكان ذلك من الحكمة في سنوات الجذب ، كى يظل هناك قوت للجميع : واستسلم الرجل على كره ، ولكنه جعل لتسليم ابنه الباقي شرطاً ، أى لتقسمن لى بالله قسماً يربطكم أن تردوا على ولدى ، إلا إذا غلبتم على أمركم غلباً لا حيلة لكم فيه ، ولا تجدى مدافعتكم عنه إذا أخذت المسالك كلها عليكم ، فأقسموا زيادة في التوكيد والتذكير .

وقال لهم أبوهم : ألا يدخلوا من باب واحد وليدخلوا من أبواب متفرقة ؛ لئلا يستلفت دخولهم من باب واحد أنظار من يقف عليه من الجند ، ومن يعس للحاكم قريب بهم ، لأن دخول قوم على شكل واحد وزى متحد على بلد هم غرباء عنه ، مما يلفت نظر كل راصد ، وكانت المدن وقتئذ مبنية لا يتفد إليها من أبوابها ، وعلى كل باب حرسه ، وليس دخول الفرد كدخول الجمع في التنبه واتباع البصر . وقيل : ينهأهم لئلا تصيبهم العين إذا دخلوا كوكبة واحدة ، وذلك أنهم كانوا ذوى جمال وهيئة حسنة ، ومنظر وبياء ، والله إذا أراد شيئاً لا يخالف ولا يانع ، فهذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضائه ، وحكم الله القدرى يعضى في الناس على غير إرادة منهم ولا اختيار ، وإلى جانبه حكم الله الذى يتفذه الناس عن رضا منهم واختيار ، وهو الحكم الشرعى المتمثل في الأوامر والنواهي وهذا كذلك لا يكون إلا لله شأنه شأن حكمه القدرى الذى عنته هذه الآية .

وسار الركب ونفذوا وصية أبيهم ، فم كانت هذه الوصية ؟ ثم قال لهم أبوهم : ﴿ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ ؟

قال صاحب الظلال : « تضرب الروايات والتفاسير في هذا وتبدى وتعيد بلا ضرورة ، بل ضد ما يقتضيه السياق القرآنى الحكيم ، فلو كان السياق يجب أن يكشف عن السبب لقال - ولكنه قال فقط : ﴿ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبُ فَضَّلَهَا ﴾ فينبغى أن يقف المفسرون عند ما أراده السياق ، احتفاظاً بالجو الذى أراده ، والجو يوحى بأنه كان يخشى شيئاً عليهم ، ويرى في دخولهم من أبواب متفرقة اتقاء لهذا الشيء مع تسليمه بأنه لا يغنى عنهم من الله من شيء ، فالحكم كله إليه ، والاعتقاد كله عليه ، إنها هو خاطر شعر به ، وحاجة في نفسه قضاها بالوصية ، وهو على علم بأن إرادة الله نافذة ، فقد علمه الله هذا فتعلم : ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقال الإمام الفخر الرازي : « اعلم بأن الإنسان مأمور بأن يراعى الأسباب المعبرة في هذا العالم ، ومأمور أيضاً بأن يعتقد ويجزم بأنه لا يصل إليه إلا ما قدره الله تعالى ، وأن الحذر لا ينبجى من القدر ، فإن الإنسان مأمور بأن يحذر عن الأشياء المهلكة والأغذية الضارة ، ويسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الإمكان ؛ ثم إنه مع ذلك ينبغي أن يكون حازماً بأنه لا يصل إليه إلا ما قدره الله ، ولا يحصل في الوجود إلا ما أراده الله ، فقلوه **الطيرة** : ﴿ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ فهو إشارة إلى رعاية الأسباب المعبرة في هذا العالم ، وقوله : ﴿ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مَوْلَىٰ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ إشارة إلى عدم الالتفات إلى الأسباب وإلى التوحيد المحض والبراءة عن كل شيء سوى الله تعالى .

وقول القائل : كيف السبيل إلى الجمع بين هذين القولين ؟ فهذا السؤال غير مختص به ، وذلك لأنه لا نزاع في أنه لا بد من إقامة الطاعات ، والاحتراز عن المعاصي والسيئات مع أننا نعتقد أن السعيد من سعد في بطن أمه ، وأن الشقى من شقى فكذا هاهنا ، نأكل ونشرب ونحترز عن السموم وعن الدخول في النار ، مع أن الموت والحياة لا يحصلان إلا بتقدير الله تعالى .

فظهر أن هذا السؤال غير مختص بهذا المقام ، بل هو بحث عن سر مسألة الجبر والقدر ، بل الحق أن العبد يجب عليه أن يسعى بأقصى الجهد والقدرة ، وبعد ذلك السعى البليغ والجهد الجهد ، فإنه يعلم أن كل ما يدخل في الوجود فلا بد أن يكون بقضاء الله تعالى ومشيته وسابق حكمه وحكمته .

ويخبر السياق بأن إخوة يوسف لما قدموا عليه ، ضم إليه أخاه بنيامين . إما على الطعام ، أو في المنزل ، وأعلمه بأنه أخوه ، وقال له : لا تحزن بها كانوا يعملون بنا فيما مضى ، فإن الله تعالى قد أحسن إلينا ، وجمعنا بخير ، وأمره بكتمان ذلك عنهم ، ولا يطلعهم على ما أطلعهم عليه من أنه أخوه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - حرص الآباء على الأبناء ، وحسن رعايتهم ونصحهم بها يضمن لهم الأمن والسلامة والسعادة .

٢ - الإنسان مأمور بأن يراعى الأسباب ويأخذ بها .

٣ - الحذر لا ينبجى من القدر ، والحكم لله وحده .

معاني الكلمات :

السقاية : إناء من ذهب للشرب اتخذ للكيل .

أذن مؤذن : نادى مناد .

العير : القافلة فيها الأحمال .

صواع الملك : مكبال وهو السقاية .

زعيم : كفيل أوديه إليه .

فهو جزاؤه : السارق جزاء المسروق .

كدنا ليوسف : دبرنا لتحصيل غرضه .

مكانه : بدلا منه .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتعرف على حيلة يوسف عليه السلام في أخذه أخاه إليه .

٢ - أن نعلم مدلول الدين في المفهوم الإسلامى .

٣ - أن نتعرف على كوامن الحق عند إخوة يوسف عليه السلام .

المحتوى التربوى :

يطوى السياق فترة الضيافة ، وما دار فيها بين يوسف وإخوته ، ليعرض مشهد الرحيل الأخير ، فنطلع على تدبير يوسف ليحتفظ بأخيه ، ريثما يتلقى إخوته درسا أو دروسا ضرورية لهم ، وضرورية للناس في كل زمان ومكان .

ومن وراء الستار يدس يوسف كأس الملك - وهى عادة من الذهب - وقيل : إنها كانت تستخدم للشراب ، ويستخدم قعرها الداخل المجوف من الناحية الأخرى في كيل القمح ، لندرتة وعزته في تلك المجاعة ، ثم ينادى منادٍ بصوت مرتفع ، في صيغة إعلان عام ، وهم منصرفون : ﴿ أَيَّتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴾ ويرتاع إخوة يوسف لهذا النداء الذى يتهمهم بالسرقه -

وهم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - فيعودون أدراجهم يتبينون الأمر المريب ويسألون ﴿ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴾ .

قال الغلمان الذين يتولون تجهيز الرجال ، أو الحراس ومنهم هذا الذى أذاع بالإعلان : ﴿ قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ ﴾ وأعلن المؤذن أن هناك مكافأة لمن يحضره متطوعا ، وهى مكافأة ثمينة فى هذه الظروف ، فهى حمل بعير من القمح العزيز : ﴿ وَأَنَا بِهِ رَعِيمٌ ﴾ أى كفيل أن أؤديه لمن جاء به ، فتعجبوا أن يرمى أمثالهم بمثل هذه التهمة ، مع ما دل عليه حالهم من أمانتهم ؛ إذ ردوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم كما تذكر التوراة الحالية ، لذلك قالوا : لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمونا أنه ليس من سجايانا الإفساد والسرقة ، وما يقع منا مثل هذا الفعل الشنيع .

وهنا ينكشف طرف التدبير الذى ألهمه الله يوسف فقد كان المتبع فى دين يعقوب : أن يؤخذ السارق رهينة أو أسيرا أو رقيقا فى مقابل ما يسرق ، ولما كان إخوة يوسف موقنين بالبراءة ، فقد ارتضوا تحكيم شريعتهم فيمن يظهر أنه سارق ، ذلك ليتم تدبير الله ليوسف وأخيه ، وقرروا جزاء السارق أخذه رقيقاً وهذا جزاء الظالمين بالسرقة لا غير .

وكان هذا الحوار على مرأى ومسمع من يوسف ، فأمر بالتفتيش ، وأرشدته حصافته إلى أن يبدأ برحالهم قبل رحل أخيه ، كى لا يثير شبهة فى نتيجة التفتيش ، وأخرج الصواع من رحل أخيه ؛ فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم ، وإلزاما لهم بما يعتقدونه .

ويخبر الله سبحانه بأن هذا ما دبره ليوسف ~~عليه السلام~~ ، فلم يكن له أخذه فى حكم ملك مصر ، وإنما قيض الله له أن التزم له إخوته بما التزموه ، وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم ، ويتضمن التعقيب الإشارة إلى ما ناله يوسف من رفعة ، وليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهى إلى الله عز وجل .

يقول صاحب الظلال : « إن هذا النص يحدد مدلول كلمة « الدين » - فى هذا الموضع تحديداً دقيقاً .. إنه يعنى : نظام الملك وشرعه ، ما كان يجعل عقوبة السارق هو أخذه فى جزاء سرقة ، إنما هذا كان نظام يعقوب وشرعية دينه ، وقد ارتضى إخوة يوسف تحكيم نظامهم هم وشريعتهم ، فطبقها يوسف عليهم عندما وجد صواع الملك فى رحل أخيه ، وعبر القرآن الكريم عن النظام والشرعية بأنها الدين .

إن مدلول « دين الله » قد هزل وانكمش حتى صار لا يعنى فى تصور الجاهير . إلا الاعتقاد والشعائر . ولكنه لم يكن كذلك يوم جاء هذا الدين منذ آدم ونوح إلى محمد عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين .

لقد كان يعنى دائماً : الدينونة لله وحده بالتزام شرعه ، ورفض ما يشرعه غيره ، وإفراده سبحانه بالآلوهية في الأرض ، مثل إفراده بالآلوهية في السماء ، وتقرير ربوبيته وحده للناس : أى حاكميته وشرعه وسلطانه وأمره ، وكان مفرق الطريق دائماً من هم في دين الله ومن هم في دين الملك ، أن الأولين يدينون لنظام الله وشرعه وحده ، وأن الآخرين يدينون لنظام الملك وشرعه ، أو يشركون فيدينون لله في الاعتقاد والشعائر ، ويدينون لغير الله في النظام والشرائع ، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة ، ومن بدهيات العقيدة الإسلامية تماماً .

ونعود إلى إخوة يوسف وقد حرك الحرج الذى يلاقونه كوامن حقدهم على أخى يوسف ، وعلى يوسف من قبله ، فإذا هم يتصلون من نقيصة السرقة ، وينفونها عنهم ، ويلقونها على هذا الفرع من أبناء يعقوب ، فقالوا : ﴿ إِن يَشْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، وتنطلق الروايات والتفاسير تبحث عن مصداق قولهم هذا في تعلات وحكايات وأساطير ، كأنهم لم يكذبوا قبل ذلك على أبيهم في يوسف ، وكأنهم لا يمكن أن يكذبوا على عزيز مصر دفعاً للتهمة التى تخرجهم ، وتبرؤوا من يوسف وأخيه السارق ، وإرواء لحقدهم القديم على يوسف وأخيه ، لقد قذفوا بها يوسف وأخاه .

وأسر يوسف هذه الفعلية وحفظها في نفسه ، ولم يبد تأثره منها ، وهو يعلم براءته وبراءة أخيه ، إنها قال لهم : إنكم بهذا القذف شرر مكانا عند الله من المذوف - وهى حقيقة لا شتمة ، والله هو العالم بحقيقة ما تقولون ، وأراد بذلك قطع الجدل في الاتهام الذى أطلقوه ، ولا دخل له بالموضوع .

وقال الفخر الرازى في قوله تعالى : ﴿ أَنتُمْ شَرُّ مَكَانًا ﴾ : أى أنتم شر منزلة عند الله تعالى لما أقدمتم عليه من ظلم أخيككم وعقوق أبيكم فأخذتم أخاكم وطرحتموه في الحبس ، ثم قلمت لأبيكم إن الذنب أكله وأنتم كاذبون ، ثم بعتموه بعشرين درهماً ، ثم بعد المدة الطويلة والزمان الممتد ما زال الحقد والغضب عن قلوبكم فرميتهم بالسرقة .

ويمضى السياق وقد عادوا إلى الموقف المحرج الذى وقعوا فيه ؛ عادوا إلى الموثق الذى أخذه عليهم أبوه وتذكروا العهد الذى أخذه على أنفسهم ، فراحوا يسترحمون يوسف باسم والد الفتى الشيخ الكبير ، ويعرضون أن يأخذ بدله واحداً منهم إن لم يكن مطلقه لخطر أبيه ، ويستعينون في رجائه بتذكيره بإحسانه وصلاحه وبره لعله يلين .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - يرفع الله سبحانه وتعالى من يشاء من عباده درجات في العلم .

٢ - مدلول الدين يعنى الدينونة لله في كل شؤون الحياة .

٣ - جواز الحيلة في التوصل إلى المباح ، وما فيه الصلاح واستخراج الحقوق .

معاني الكلمات :

- معاذ الله : نعوذ بالله معاذاً ونعتصم به .
استياسوا منه : يسوا من إجابته .
خلصوا نجيا : انفردوا متناجين متشاورين .
فرطتم : قصرتم .
يا أسفى : يا حزنى الشديد .
ابيضت عيناه : أصابتها غشاوة فابيضتا .
كظيم : ممتلئ من الغيظ .
حرصا : تصير مريضاً مقرباً من الهلاك .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على أمر المناجاة بين إخوة يوسف وما آل إليه .
- ٢ - أن نعلم أن القلب المؤمن مهما يُصب فله أمل لا ينقطع في الله عز وجل .
- ٣ - أن ندرك قيمة الإيمان بالله عز وجل .

المحتوى التربوى :

يخبر السياق بأن يوسف عليه السلام رفض عرض إخوته من أخذ أحدهم بدلا منه ، واستعاذ بالله أن يأخذ إلا من وجد المتاع عنده ، دون زيادة في اللفظ تحقق الاتهام أو تنفيه ، وما نريد أن نكون ظالمين ، وكانت هى الكلمة الأخيرة في الموقف ، وعرفوا ألا جدوى بعدها من الرجاء ، فانسحبوا يفكرون في موقفهم المحرج ، أمام أبيهم حين يرجعون .

يشس إخوة يوسف من محاولة تخليص أخيهم الصغير ، فانصرفوا من عنده ، وعقدوا مجلسا يتشاورون فيه ويتناجون ، والسياق لا يكشف أقوالهم جميعاً ، إنما يثبت آخرها الذى يكشف عما انتهوا إليه ؛ فكبيرهم يذكرهم بالعهد المأخوذ عليهم ، كما يذكرهم بتفريطهم في يوسف من قبل ،

ويقرن هذه إلى تلك ، ثم يرتب عليهما قراره الجازم : ألا يرح مصر ، وألا يواجه أباه ، إلا أن يأذن له أبوه ، أو يقضى الله له بحكم ، فيخضع له وينصاع .

قال أبو السعود : « وإنما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس ، لما شاهدوه من عوذ بالله لما طلبوه ، الدال على كون ذلك عنده في أقصى مراتب الكراهة ، وأنه مما يجب أن يحترز عنه ، ويعاذ بالله عز وجل منه ، ومن تسميته ظلماً » .

ويمضي السياق فيخبر عن كبيرهم أنه طلب إليهم أن يرجعوا إلى أبيهم فيخبروه صراحة بأن ابنه سرق فأخذ بها سرق ، ذلك ما علموه شهدوا به ، أما إن كان برئنا ، وكان هناك أمر وراء هذا الظاهر لا يعلمونه ، فهم غير موكلين بالغيب ، كما أنهم لم يكونوا يتوقعون أن يحدث ما حدث ، فذلك كان غيباً بالنسبة إليهم ، وما هم بحافظين للغيب وإن كان في شك من قولهم فليسأل أهل القرية التي كانوا فيها ، وليسأل القافلة التي كانوا فيها ، فهم لم يكونوا وحدهم ، فالقوافل الكثيرة كانت ترد مصر لتمتار الغلة في السنين العجاف .

واستنبط بعضهم من هذا عدم جواز الشهادة على الكتابة بلا علم وتذكر ، وكذا من سمع كلامه من وراء حجاب ، لعدم العلم به ، ولا يخفى أن مثل هذا مما يستأنس به في مواقع الخلاف .

ويطوى السياق الطريق بهم حتى يقفهم في مشهد أمام أبيهم المفجوع ، وقد أفضوا إليه بالنبا الفظيع فلا نسمع إلا رده قصيراً سريعاً ، شجياً وجيماً ، ولكن وراءه أملاً لم ينقطع في الله أن يرد عليه ولديه ، وأنه لأمل عجيب في ذلك القلب الوجيع ، ويقول الكلمة ذاتها يوم فقد يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ ، ولكنه في هذه المرة يضيف إليها هذا الأمل أن يرد الله عليه يوسف وأخاه ، فيرد ابنه الآخر المتخلف هناك ، فالله تعالى هو الذى يعلم حاله ، ويعلم ما وراء الأحداث والامتحانات، ويأتى بكل أمر في وقته المناسب عندما تتحقق حكمته في ترتيب الأسباب والنتائج .

يقول صاحب الظلال : « هذا الشعاع من أين جاء إلى قلب هذا الرجل الشيخ ؟ إنه الرجاء في الله والاتصال الوثيق به ، والشعور بوجوده ورحمته ، ذلك الشعور الذى يتجلى في قلوب الصفاة المختارة ، فيصبح عندها أصدق وأعمق من الواقع المحسوس الذى تلمسه الأيدي وتراه الأبصار » .

ويأتى السياق بالصورة المؤثرة للوالد المفجوع ، يحس أنه منفرد بهم ، وحيد بمصابه ، لا تشاركه هذه القلوب التى حوله ولا تجاوبه ، فينفرد في معزل ، يتدب فجيعته في ولده الحبيب .. يوسف .. الذى لم ينسه ، ولم تهون من مصيبته السنون ، والذى تذكره به نكته الحديدية في أخيه الأصغر فتغلبه على صبره الجميل ، ويكظم الرجل حزنه ويتجلد فيؤثر هذا الكظم في أعصابه حتى تبيض عيناه حزناً وكماً .

يقول الرزخسرى : « فإن قلت : كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ ؟ قلت : الإنسان مجبول على ألا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ، ولذلك حمد صبره ، وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن ، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم وقال : « إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » .

وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب .

ويخبر السياق عن قولة أبناء يعقوب لأبيهم : تالله تظل تذكر يوسف ، ويهدك الحزن عليه حتى تذوب حزناً أو تهلك أسى بلا جدوى ، فيوسف ميؤوس منه قد ذهب ولن يعود .

ويرد عليهم الرجل بأن يتركوه لربه ، فهو لا يشكو لأحد من خلقه ، وهو على صلة بربه غير صلتهم ويعلم من حقيقته ما لا يعلمون .

يقول صاحب الظلال : « وفي هذه الكلمات يتجلى الشعور بحقيقة الألوهية في هذا القلب الموصول كما تتجلى هذه الحقيقة ذاتها بجلالها الغامر ، ولألائها الباهر .

إن هذا الواقع الظاهر الميثس من يوسف ، وهذا المدى الطويل الذى يقطع الرجاء من حياته فضلاً على عودته إلى أبيه ، واستنكار بنيه لهذا التطلع بعد هذا الأمد الطويل في وجه هذا الواقع الثقيل ، إن هذا كله لا يؤثر شيئاً في شعور الرجل الصالح بربه ، فهو يعلم من حقيقة ربه ومن شأنه ما لا يعلم هؤلاء المحجوبون عن تلك الحقيقة بذلك الواقع الصغير المنظور وهذه قيمة الإيمان بالله » .

قال الشيخ محمد أبو زهرة في زهرة التفاسير: في تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ « هذه الجملة تحوى في نفسه كل الرجاء الذى يرجوه والأمل الذى يأمله ، وفيه دلالة على أنه يعلم أن الله كاشف كربه ، مزيل همه ، وهو من علم الله تعالى ، لا من علم أحد ، يعلمه بالإلهام أولاً ، وبرجائه في الله ثانياً ، وبرؤيا يوسف الصادقة ثالثاً ، ففيها أنه رأى الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً له ساجدين ، وتأويل الرؤيا أن يكون في ظل يوسف ، وهو في عز مكين ، وإن ذلك واقع لا محالة . وقد بنى على هذا الأمل ، وذلك الرجاء أن كلفهم بالبحث من يوسف وأخيه » .

ما ترشدنا إليه الآيات تريباً :

١ - ضرورة الحرص على رضا الوالدين ، فرضاهما من رضا الله عز وجل .

٢ - أهمية الصدق في القول ، والدفاع عن النفس بالحق ، وفضيلة الرجاء في الله وهى من صفات الإيمان .

٣ - الشكوى لغير الله مذلة ، والشكوى لله عزة ورجاء وقوة إيمان .

معاني الكلمات :

فتحسبوا عن يوسف : فتمعرفوا من خبر يوسف .

روح الله : رحمته وفرجه .

الضر : الهزال من شدة الجوع .

بيضاة مزجاة : بأثمان رديئة كاسدة .

آثرك : اختارك وفضلك .

لا تثرىب : لا تأنيب ولا لوم .

فصلت العير : فارقت القافلة .

تفندون : تسفهوني أو تكذبوني .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم أن المؤمن في أنس من صلته بربه ، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه .

٢ - أن نعرف أن النعمة ابتلاء كما أن الشدة ابتلاء .

٣ - أن نؤمن بأن الاعتراف بالخطأ فضيلة .

المحتوى التربوي :

يخبر السياق عن توجيه يعقوب عليه السلام إلى تلمس يوسف وأخيه ، وألا يياسوا من رحمة الله في العثور عليهما ، فإن رحمة الله واسعة وفرجه دائماً منظور ، فيقول لهم : ﴿ اذْهَبُوا فَتَحَسَّبُوا ﴾ بحواسكم في لطف وبصر وصبر على البحث ، ودون يأس من الله وفرجه ورحمته ، وكلمة روح فيها ظل الاسترواح من الكرب الخائق بما ينسم على الأرواح من روح الله الندى .

والمؤمنون الموصولة قلوبهم بالله ، التدية أرواحهم بروحه ، الشاعرون بنفحاته المحيية الرخية ، فإنهم لا يياسون من روح الله ، ولو أحاط بهم الكرب ، واشتد بهم الضيق ، وإن المؤمن لفى روح من ظلال إيمانه ، وفي أنس من صلته بربه ، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه ، وهو في مضائق الشدة وغنائق الكروب .

يقول الفخر الرازي : « واعلم أن اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات ، أو ليس بكريم بل هو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر ، فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند أحد هذه الثلاثة وكل واحد منها كفر ، ثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافراً ، والله أعلم » .

ويدخل إخوة يوسف مصر للمرة الثالثة ، وقد أضرت بهم المجاعة ، ونفدت منهم النقود ، وجاءوا ببضاعة رديئة هي الباقية لديهم يشترون بها الزاد ، يدخلون وفي حديثهم انكسار لم يعهد في أحاديثهم من قبل ، وشكوى من المجاعة تدل على ما فعلت بهم الأيام ، فقالوا : يا أيها الملك القادر الممتنع ، مسنا وأهلنا الشدة من الجذب ، وجئنا بدراهم قليلة في مقابلة ما نمتاره ، استقلوا الثمن واستحقروه اتضاعاً لهية الملك ، واستجلاباً لرأفته وحنانه ، فأتم لنا الكيل ووفره بهذه الدراهم المزجاة ، كما توفره بالدراهم الجياد ، وتصدق علينا بالمساحة وقبول ما لا يعد عوضاً ، والله يثيب المتصدقين أحسن الثوبة .

وعندما يبلغ الأمر بهم إلى هذا الحد من الاسترحام والضيق والانكسار لا تبقى في نفس يوسف قدرة على المضي في تمثيل دور العزيز ، والتخفى عنهم بحقيقة شخصيته فقد انتهت الدروس ، وجاء وقت المفاجأة الكبرى ، فإذا هو يترقب في الإفضاء بالحقيقة إليهم ، فيعود بهم إلى الماضي البعيد الذي يعرفونه وحدهم ، ولم يطلع عليه أحد إلا الله ، وقال يوسف محبياً لهم : ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه وكيف فرقتم بينه وبين أبيه وأخيه ، وما حملكم على هذا إلا الجهل بمقدار هذا الذي ارتكبتموه .

ورن في آذانهم صوت لعلهم يذكرون شيئاً من نبراته ، ولاحت لهم ملامح وجه لعلهم لم يلتفتوا إليها وهم يرونه في سميت عزيز مصر ، والآن تدرك قلوبهم وجوارحهم وآذانهم ظلال يوسف الصغير في ذلك الرجل الكبير ، فيسألون : « أَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ » ؟ ويحيب في مفاجأة : أنا يوسف ، ويذكر في إجمال بما فعلوه بيوسف وأخيه ولا يزيد سوى أن يذكر منه الله عليه وعلى أخيه ، معللاً هذه المنة بالتقوى والصبر وعدل الله في الجزاء .

أما هم فتمثل لعيونهم وقلوبهم صورة ما فعلوا بيوسف ، ويجللهم الخزي والخجل وهم يواجهونه محسناً ، إليهم وقد أساءوا ، حليماً بهم وقد جهلوا ، كريماً معهم وقد وقفوا منه موقفاً غير كريم ، فاعترفوا بالخطيئة ، وأقروا بالذنب ، وقرروا ما يرونه من إثارة الله له عليهم بالمكانة والحلم والتقوى والإحسان يقابله يوسف بالصفح والعفو ، وإنهاء الموقف المخجل شيمة الرجل الكريم ، وينجح يوسف في الابتلاء بالنعمة كما نجح من قبل في الابتلاء بالشدة إنه كان من المحسنين ، فقال : لا مواخذة لكم ولا تأنيب اليوم ، فقد انتهى الأمر من نفسى ولم تعد له جذور ، والله يتولاكم بالمغفرة وهو أرحم الراحمين .

ويعلق الشيخ محمد أبو زهرة على موقف إخوة يوسف في زهرة التفاسير قائلاً : « يشتد الإحساس بالخطأ إذ أظهرت النتائج غير الحسنة ؛ ولذلك أحس الإخوة بظلم ما فعلوا : « قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ » .

قالوا مقسمين على حقيقتين :

الحقيقة الأولى : أن الله آثر بالفضل والإحسان والتوفيق يوسف عليه السلام ، فقد أعطاه النجاة من الموت والرق ، وأعطاه السلطان على مصر ، خير بلاد الأرض تجاورهم ، فكان هو ملكاً عزيزاً ، وهم دونه ، وأكدوا أن الله آثره ، بـ (اللام) ، و (ق) ، و بـ (القسم) .

الحقيقة الثانية : أنهم أحسوا بأنهم كانوا آثمين ؛ ولذا قالوا : ﴿ وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ ، ﴿ وَإِنْ ﴾ هي المخففة من الثقيلة ، وإنه الحال والشأن كنا لخاطئين ، والخاطئ هو الواقع في الإثم ، أو الخطيئة ، وقد أكدوا إثمهم أولاً بـ (إن) المخففة من الثقيلة ، ﴿ كُنَّا ﴾ الدالة على استمرار خطئهم و (لام التوكيد) في ﴿ لَخَاطِئِينَ ﴾ وهذا اعتراف خطير بالذنب ، وهو أول خطوات التوبة .

قال بعض المفسرين : إن تجاوز يوسف عن ذنب إخوته ، وإبقاء عليهم ، ومصافاته لهم ، تعلمنا أن تغفر لمن يسيء إلينا وأن نحسن إليه ، ونصفي له الود ، وأن نغضي عن كل إهانة تلحق بنا ، فسيخ الله تعالى إذ ذاك علينا نعمه وخيراته في هذه الدنيا ، كما أوسع على يوسف ويورثنا السعادة الآخروية ، وأما إذا أضمرنا السوء للمسيئين إلينا ، ونقمنا منهم ، فإننا نحرم من الثواب الذي أعده الله للكاملين الغيظ والعافين عن الناس ، فتعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا .

ويحول الحديث إلى شأن آخر ، شأن أبيه الذي ابيضت عيناه من الحزن ، فهو معجل إلى تبشيره ، معجل إلى لقائه ، معجل إلى كشف ما علق بقلبه من حزن ، فأراد يوسف تبشير أبيه بحياته وتصديقه بإرسال حلة من حلله التي كان يستشعر بها أو يتدثر ، ليكون في مقابلة القميص الأول جالب الحزن وغشاوة العين ، والإلقاء على وجهه مبالغة في تقريبه منه لما ناله من ضعف البصر ، فترجع إليه قوة بصره بانتعاش قلبه بشمه واطمئنان على سلامته ، وللمفرحات تأثير عظيم في صحة الجسم ، وأمرهم بأن يأتوا بأهليهم أجمعين .

ولما خرجت العير من مصر قال أبوهم : إني لأجد ريح يوسف لولا أن تقولوا شيخ خرف لصدقتهم معي ما أجده من ريح الغائب البعيد يقول القاسمي : « كناية عن تحقق وجوده بها ألقى الله في روعه من حياته ، وساق إليه من نسائم البشارة الغيبية بسلامته ، وقد كان عظم رجاءه بذلك من مولاه ، ووثق بنيل مأموله ومبتغاه ، ولذلك نهى بنيه عن الاستيئاس من روح الله ، وإذا دنا أجل الضراء وأخذت تهب نسائم الفرج حاملة عُرْف السراء ، يدرى ذلك كل من قوى إحساسه ، وعظمت فطنته ، واستنارت بصيرته ، فيكاد أن يلمس في نهاية الشدة زهر الفرج .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ - عدم اليأس من رحمة الله ، ومحاولات البحث المتكررة عما نفقده من أشياء أو أشخاص .

٢ - طاعة الوالدين عبادة لله ، ورقة يوسف عليه السلام وشفقته على أبيه وإخوته .

٣ - التقوى والصبر من أسباب النجاح ورفع الدرجات ، والرجوع إلى الحق فضيلة .

معاني الكلمات :

ارتد : رجع وصار .

أوى : ضم .

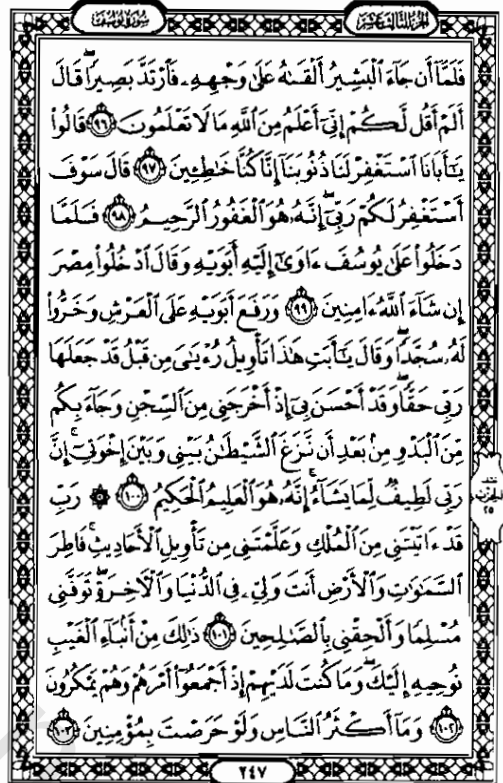
العرش : سرير الملك .

تأويل : تفسير .

نزغ : أفسد وأغرى .

فاطر : يا مبدع ومخترع .

أجمعوا أمرهم : عزموا على الكيد ليوسف .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم أن التبشير بالخير عنوان حياة المسلم وخطواته .

٢ - أن نعرف كيف يكون لقاء الأحبة .

٣ - أن نؤمن أن رؤيا الأنبياء حق .

المحتوى التربوي :

تقع المفاجأة ، مفاجأة القميص ، وهو دليل على يوسف وقرب لقياء ، ومفاجأة ارتداد البصر بعدما ابيضت عيناه ، وهنا يذكر يعقوب حقيقة ما يعلمه من ربه ، تلك التي حدثهم بها من قبل فلم يفهموه ، فقال : أعلم أن الله سيرده إليّ ، وعند ذلك قالوا لأبيهم مترفين له ، وطلبوا أن يستغفر لهم لما فرط منهم ، أو لحفدته ومن عنده لقولهم : « إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ » ولما كان من حق المعترف بذنبه أن يُصْفَح عنه ، ويسأل له المغفرة وعدهم بذلك . قال المهامي : « صرحوا بالذنوب دون الله لمزيد اهتمامهم بها ، وكأنهم غلب عليهم النظر إلى قهره ، وصرح يعقوب بذكر الرب دون الذنوب ، إذ لا مقدار لها بالنظر إلى رحمة التي ربّى بها الكل » .

وفي هذه الآيات دلالة على جواز التبشير ببشائر الدنيا واستجابته ، وجواز السرور بحصول النعم الحاصلة في الدنيا ، وفيها دلالة على إرجاء الاستغفار والدعاء لوقت يرى أنه أحضر فيه قلبا من غيره ، أو أنه أفضل وأقرب للإجابة مما عداه .

ويخبر تعالى عن ورود يعقوب على يوسف عليهما السلام وقدومه بلاد مصر ، لما كان يوسف قد تقدم إلى إخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين ، فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر ، فلما أخبر يوسف عليه السلام باقترابهم خرج لتلقيهم وأمر الملك أمراءه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقى نبي الله يعقوب عليه السلام ، ويقال : إن الملك خرج أيضا لتلقيه وهو الأشبه ، والمراد بدخولهم على يوسف ووصولهم لملتقاه خارج البلد ، وبإيواء أبويه ضمهما إليه ، واعتناقهما واصطحابه لهما في مركبه .

قالوا : وعنى بأبويه والده وخالته وكانت أمه قد ماتت قديما وهى نفساء بأخيه بنيامين ، وتنزيل الخالة منزلة الأم ، بكونها مثلها في زوجة الأب ، وقيامها مقامها وتوقيعها ، كتنزيل العم منزلة الأب .

يقول صاحب الظلال : « ويا له من مشهد ! بعد كر الأعوام وانقضاء الأيام ، وبعد اليأس والقنوط ، وبعد الألم والضيق ، وبعد الامتحان والابتلاء ، وبعد الشوق المضنى والحزن الكامد واللهف الظامى الشديد ، يا له من مشهد حافل بالانفعال والخفقات والفرح والدموع ، وباله من مشهد ختامى موصول بمطلع القصة ، ذلك في ضمير الغيب ، وهذا في واقع الحياة ، ويوسف بين هذا كله يذكر الله ولا ينساه » .

قال بعض البيهاتيين : « يستدل مما روى أن يوسف خرج للقاء أبيه على حسن التعظيم باللقاء وكذا يأتى مثله في التشيع ، ومنه ما روى في تشيع الضيف .. ويستدل مما روى أن رفعهما على العرش - وهو السرير الرفيع - جواز اتخاذه ، ورفع الغير تعظيما للمرفوع ، ويستدل من قوله : ﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾ على أن الانتقال منه نعمة ، وذلك لما يلحق أهل البادية من الجفاء ، والبعد عن موارد العلوم ، وعن رفاهة المدينة ، ولطف المعاشرة ، والكمالات الإنسانية .. وفي الحديث : « من بدا جفا » أى : من حل بالبادية ، وفي آخر : « إن الجفا والقسوة في الفدادين » ففى هذا دليل على حسن النقلة من البوادي إلى المدن » .

ويذكر السياق قول يوسف عليه السلام : ﴿ آذْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ ﴾ أى : من القحط وأصناف المكاره ، وأجلس أبويه معه على سرير ملكه تكريما لهما ، وسجد له أبوه وإخوته الباقون ، وكانوا أحد عشر - تحية وتكرمة له ، وكان السجود عندهم للكبير يجزى مجزى التحية عندهم .

ويتذكر رؤياه ويرى تأويلها بين يديه في سجود إخوته له - وقد رفع أبويه على السرير الذى يجلس عليه - كما رأى الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين ، قد جعلها الله صدقا مطابقا للواقع فى الحبس ، ويذكر نعمة الله عليه وقد أحسن به إذ نجاه من العبودية ، وجعل الملك مطيعا له مفوضا إليه خزائن الأرض ، وفى الاقتصار على التحدث بالخروج من السجن على جلالة ملكه ، وفخامة شأنه من التواضع ، وتذكر ما سلف من الضراء ، استدامة للشكر ، ما فيه من أدب النفس الباهر ، وفيه إشارة إلى النعمة فى الانطلاق من الحبس .

ويذكر يوسف عليه السلام من نعمة ربه أنه جاء بهم من البادية وقد كانوا أصحاب مواش من بعد أن أفسد الشيطان بينى وبين إخوتى بالحسد ، والنعمة بعد البلاء أحسن موقعا ، ويقول عليه السلام : إن ربى لطيف التدبير والرفق بى ، وهو العليم بوجوه المصالح والحكيم فى أفعاله وأقضيته .

ويتجه إلى ربه فى تسبيح الشاكر الذاكر ، كل دعوته وهو فى أبهة السلطان ، وفى فرحة تحقيق الأحلام - أن يتوفاه ربه مسلما وأن يلحقه بالصالحين ، بعد أن آتاه المكانة والسلطان والمال وذلك من نعمة الدنيا ، وعلمه تأويل الأحاديث بإدراك مآلاتها وتعبير رؤاها وذلك من نعمة العلم .

وهكذا يتوارى كل شيء ويبدو مشهد عبد فرد يبتهل إلى ربه أن يحفظ له إسلامه حتى يتوفاه إليه ، وأن يلحقه بالصالحين بين يديه .

وهذه القصة لم تكن متداولة بين القوم الذين نشأ فيهم محمد ﷺ ثم بعث إليهم ، بل من الغيب الذى لا يعلموه ، ويقول الله عز وجل لرسوله ﷺ ولكننا نوحيه إليك وآية وحيه أنه كان غيبا بالقياس إليك ، وما كنت معهم إذ اجتمعوا واتفق رأيهم ، وهم يمكرون ذلك المكر الذى تحدثت عنه القصة فى مواضعه ، ولقد كان من مقتضى ثبوت الوحي وإيجاء القصص ، واللفتات واللمسات التى تحرك القلوب أن يؤمن الناس بهذا القرآن ، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون .

يقول الشيخ أبو زهرة : نبأ يوسف تسلية لابن عمه محمد ﷺ يتسلى به إذ يرجو النصر ، وإن كان الشرك هو الظاهر ، عفهذا غلام ملقى فى الجب ثم يباع ويشترى ، وتنكشف الأمور بعد سجنه عن ملك عادل يسوس أخصب أرض الشرق ناء وثروة ، إن من يحكم الأمور بتدبيرها ليس ببعيد عليه أن يخرجك من وسط بأس قومك .

ما ترشدنا إليه الآيات تريوياً :

١ - قدرة الله تعالى لا يعجزها شيء ، والأخذ بالأسباب لا ينافى التوكل على الله بل هو من شروطه .

٢ - الاعتراف بالخطأ والاستغفار من الذنب .

٣ - طلب الدعاء من الوالدين ، واستجابة الله تعالى لدعاء الوالدين لأبنائهما .

معاني الكلمات :

غاشية : عقوبة تغشاهم وتحيط بهم .

بغته : فجأة .

بصيرة : حجة واضحة .

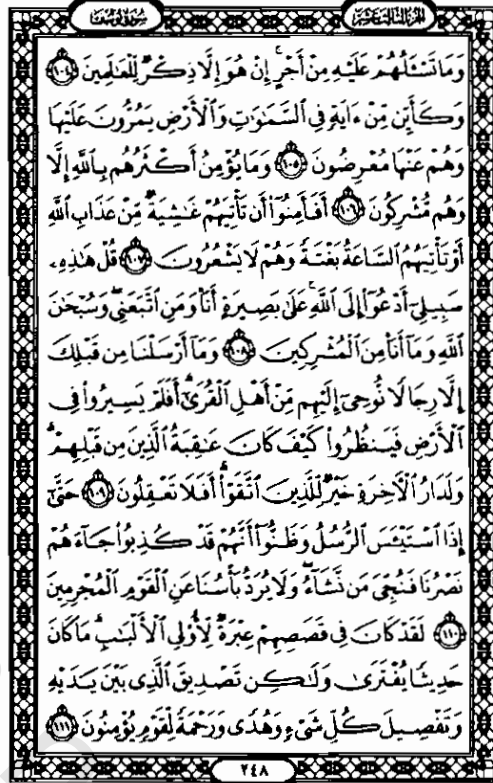
استياس الرسل : يشوا من النصر لطول

المدة .

بأسنا : عذابنا .

عبرة : عظة وتذكرة .

يفترى : يختلق .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم حال الناس مع آيات الله .
- ٢ - أن نعرف على سنة الله في رسالاته .
- ٣ - أن نتعلم بعض العبر من إيراد القصص القرآني .

المحتوى التربوي :

لقد كان الرسول ﷺ حريصاً على إيمان قومه ، رغبة في إيصال الخير الذي جاء به إليهم ورحمة لهم مما ينتظر المشركين من نكد الدنيا وعذاب الآخرة ، ولكن الله العليم بقلوب البشر ، الخير بطيئهم وأحوالهم ، ينهى إليه أن حرصه على إيمانهم لن يسوق الكثرة المشتركة إلى الإيثار ؛ لأنهم يمرون على الآيات الكثيرة معرضين ، فهذا الإعراض لا يؤهلهم للإيمان ، ولا يجعلهم يتفكرون بدلائله المبثوثة في الآفاق ، وإنك لغني عن إيمانهم فما تطلب منهم أجراً على الهداية ، وإن شأنهم في الإعراض عنها لعجيب ، وهي تبذل لهم بلا أجر ولا مقابل ، تذكرهم بآيات الله وتوجه إليها أبصارهم وبصائرهم وهي مبدولة للعالمين .

والآيات الدالة على الله ووحدانيته وقدرته كثيرة مبثوثة في تضاعيف الكون ، معروضة للأبصار والبصائر في السموات وفي الأرض ، يمرون عليها صباح مساء ، آناء الليل وأطراف

النهار وهى ناطقة تكاد تدعو الناس إليها ، ولكنهم لا يرونها ولا يسمعون دعاءها ، ويمرون عليها ولا يلتفتون إليها ، لذلك لا يؤمن الأكثرون .

وما المراد بالناس هنا ؟ أراد بهم العرب قبل ظهور الإسلام أم الناس أجمعون ؟ لا مانع من إرادة أحد العرضين أو إرادتهما معا بمعنى شمول الكلمة لكل ما تدل عليه من ناس : عرب وعجم .

وحتى الذين يؤمنون كثير منهم يتدسس الشرك إلى قلوبهم ، فالإيمان الخالص يحتاج إلى يقظة دائمة تنفى عن القلب أولا بأول كل خالجة شيطانية ، وتدل الآية على النعى عليهم بالشرك الأكبر ، وهو أن يعبد مع الله غيره ، فإنها تشير إلى ما يتخلل الأفئدة ، وينغمس به الأكثرون من الشرك الخفى الذى لا يشعر صاحبه به غالبا ، والرياء كله شرك ، ومن الشرك نوع غير مغفور ، وهو الشرك بالله فى المحبة والتعظيم بأن يحب مخلوقا كما يحب الله .

وما الذى ينتظره أولئك المعرضون عن آيات الله المعروضة فى صفحات الوجود ، بعد إعراضهم عن آيات القرآن التى لا يسألون عليها أجراً ؟ ماذا ينتظرون ؟ أيأمن هؤلاء عاقبة هذه الغفلة ، فإن عذاب الله الذى لا يعلم مواعده أحد ، قد يغشاهم اللحظة بغاشية تشملهم وربما تكون الساعة على الأبواب فيطرقهم اليوم الرهيب المخيف بفترة وهم لا يشعرون .

والدعوة إلى الإيمان والتوحيد هى طريق محمد ﷺ يدعو إلى دين الله وتوحيده ومعرفته بصفات كماله ، ونعوت جلاله بالحجة الواضحة الغير عمياء ، وسيرة أنباعه ﷺ الدعوة إلى الله ، ولا يخفى أن الدعوة إلى الله إنما هى بنشر مطالب الدين ، وإذاعة آدابه وتعاليمه ، وقال بعضهم : ينبغى للعالم أن يكون حديثه مع العامة ، فى حال مغالطته ومجالسته لهم فى بيان الواجبات والمحرمات ، ونوافل الطاعات وذكر الثواب والعقاب على الإحسان والإساءة ، ويكون كلامه معهم بعبارة قريبة واضحة يعرفونها ويفهمونها ، ويزيد بيانا للأمور التى يعلم أنهم ملاسئون لها ولا يسكت حين يسأل عن شئ من العلم ، وهو يعلم أنهم يحتاجون إليه ومضطرون إليه ، فإن علمه بذلك سؤال منهم بلسان الحال ، والعامة قد غلب عليهم التساهل بأمر الدين علما وعملا ، فلا ينبغى للعلماء أن يساعدوهم على ذلك بالسكوت عن تعليمهم وإرشادهم ، فيعم الهلاك ، ويعظم البلاء .

ويلفت السياق إلى سنة الله فى رسالاته ، وإلى بعض آيات الله فى الأرض من مصائر السابقين ، ومحمد ﷺ ليس بدعا من الرسل ، ورسالاته ليست بدعا من الرسالات ، وهذه عواقب الذين كذبوا من قبل ، آيات معروضة فى الأرض ، والنظر فى آثار الغابرين يهز القلوب حتى قلوب المتجبرين ، ولحظات الاسترجاع الخيالى لحركاتهم وسكناتهم وخلجاتهم ، وتصورهم أحياء يروحون فى هذه الأمكنة ويحيئون ، يخافون ويرجون ، يطعمون ويتطعمون ، ثم إذا هم ساكنون لا حس ولا حركة ، ومن ثم يأخذ القرآن بيد القوم ليقفهم على مصارع الغابرين بين الحين

والحين ليدركوا أن مصيرهم كمصيرهم وأن سنة الله الواضحة الآثار في آثار الغابرين ستناهم ، وأن عاقبتهم في هذه الأرض إلى ذهاب والدار الآخرة خير من هذه الدار التي ليس فيها قرار ، فتدبروا سنن الله في الغابرين ؟ حتى تعقلوا فتؤثرون المتاع الباقي على المتاع القصير .

يقول صاحب الظلال : « الدعوة إلى الله كثيرة التكاليف أيضًا ، ومن ثم لا تنضم إليها إلا الصفوة المختارة في الجيل كله التي تؤثر حقيقة هذا الدين على الراحة والسلامة ، ولكن الله يفتح بينهم وبين قومهم بالحق بعد جهاد يطول أو يقصر ، وعندئذ فقط تدخل الجماهير في دين الله أفواجًا .

ثم يصور ساعات الحرج القاسية في حياة الرسل ، قبل اللحظة الحاسمة التي يتحقق فيها وعد الله وتمضي فيها سنته التي لا تتخلف ولا تحيد ، إنها صورة ترسم مبلغ الشدة والكره والضيق في حياة الرسل ، وهم يواجهون الكفر والعمى والإصرار والجحود ، وتمر الأيام وهم يدعون فلا يستجيب لهم إلا قليل ، ونكر الأعوام والباطل في قوته ، إنها ساعات حرجة والباطل ينتفش ويطغى ويطش ويغدر ، والرسل ينتظرون الوعد فلا يتحقق لهم في هذه الأرض ، وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل ، أى كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه ، وهى سنة الله في الدعوات ، لا بد من الشدائد ، ولا بد من الكروب ، حتى لا تبقى بقية من جهد ولا بقية من طاقة ، ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس ، ولا يرد عذاب الله عن القوم الكافرين إذا نزل بهم . وفي قصة يوسف ألوان من الشدائد في الحب وفي بيت العزيز وفي السجن ، وألوان من الاستيئاس من نصرة الناس ، ثم كانت العاقبة خيرًا للذين اتقوا ، وقصة يوسف نموذج من قصص المرسلين فيها عبرة لمن يعقل ، وفيها تصديق ما جاءت به الكتب المنزلة من قبل ، على غير صلة بين محمد وهذه الكتب ، فما كان يمكن أن يكون ما جاء به حديثا مفترى ، فالأكاذيب لا يصدق بعضها بعضا ولا تحقق هداية ، ولا يستروح فيها القلب المؤمن الروح والرحمة .

وفي محاسن التأويل : تأمل هذه القصص ، تجده لا يذكر إلا ما يناسب الإرشاد والنصح ، ويعرض عن كثير من الوقائع ، إذ لا لزوم لها ، ولا معول عليها ، فلا ترى قصة إلا وفيها توحيد وعلم ومكارم أخلاق ، وحجج عقلية ، وتبصرة وتذكرة ، ومحاورات جميلة تلذ العقلاء .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ - الله عز وجل أغنى الشركاء عن الشرك وهو واحد لا شريك له .

٢ - الدعوة إلى الله طريقة الرسول ﷺ وسيرة أتباعه .

٣ - في قصص القرآن تسليية لأصحاب الدعوات ، وتثبيت للقلوب ، وعظة لمن يتعظ .